شرار مهيار

رنيم صوالحة

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2024/11/6375)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب شرار مهيار : مذكرات أردنيون

تأليف صوالحه ، رنيم بلال محمد سامي

بيانات النشر عمان : رنيم بلال محمد سامي صوالحه ، 2024

الوصف المادي 192 صفحة .

رقم التصنيف 813.905645

الواصفات /القصص العربية//الأدب العربي//الأردنيون//العصر الحديث//قطاع غزة/

الطبعـــة الطبعة الأولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

تنبيه!

جميع ما ورد في هذه الرواية من بنات عقل المؤلِّفة، وهي في الأساس

مُستوحاة من الواقع الذي عشناه ونعيشه في الأردن الغالي -حفظه الله- بالتَّزامن

مع معركة طوفان الأقصى، ولا يُقصَد الإساءةَ أو التملُّقَ لأي شخص أو أي

جهة، ولو تشابهت بعض أحداث القصة بواقع شخصي فهو من عند القارئ.

إهداء

إلى سيّدي وحبيبي محمد ﷺ الذي أوصانا بالتمسك بهذا الدين، وأوصانا بالصبر حتى نرد عليه الحوض، قائدي وقدوتي الذي أرجو من الله أن يمن علي بشربة ماء من يده الشريفة.

إلى أبطال المُقَاوَمَة البواسل الذين أعادوا إلى أفواهنا حلاوة النصر، وإلى جباهنا وضاءة العزّ، وإلى قلوبنا نبض الحق.

إلى الشهداء الذين جعلوا من أعمارهم ثمنًا ليُفتح الأقصى، وغسلوا أرض فلسطين بدمائهم بعدما نجَّسها العدوان المحتل.

إلى قادة الأمة الإسلامية الذين علَّمونا أن حُب القائد يمكن أن ينبع من القلب دون تكلُّف أو إجبار.

إلى الذين اصطفاهم الله وهو أعلم بهم.

إلى المرابطين بعسقلان، خير الرّبَاط رِبَاطهم، وإلى صَفْوَة عباد الله الذين اجتباهم إلى صَفْوَته من أرضه (أرض الشام).

إلى الشباب المُتحمّسِ، والمُتَرَدِّدِ، والحيران، والخائف، والتائه، المُحبِّ لأرض الله ومُقَدَّسَات الإسلام.

إلى الإسلام الذي أرى همه همي، وإن كنت أتَذَبْذَبُ بين طاعةٍ وتقصير.

إلى العدو الصهيونيّ وأذْنَابِه، إلى حزب الشَّيطان الذين يظُنُّون أنهم سيُطْفِؤون نور الله بأفواههم والله مُتمُّ نوره ولو كره الكافرون.

شكر..

الحمد لله الذي منَّ علي بأنْ أكون جزءًا من هذا الطوفان، على ما بي من تقصير في حقه ﷻ.

الشكر إلى السند الأول بعد الله ﷻ: أسرتي، أمي وأبي وإخوتي الذين ما برحوا يُغذُّون هذا الإنتاج.

الشكر إلى الصديقة التي لم أرها ولم تَرَني، وما جُمِعنَا إلا بمصلحة قَضَتْهَا لِي ولم تعلم عني شيئًا، الصديقة التي تعيش أحداث الحرب كل يوم، واختارت شرف الرِّبَاط في عسقلان كغيرها من أهل غَزَّة، التي كانت تواسيني عندما أكتئب بسبب الحرب، وتُمدُّني بتفاصيل عن معيشة أهل غَزَّة وتعامل عوامِّ الشعب فيها، التي رافقت مسيرة كتابتي للرواية خطوة بخطوة، مُذ بدأت بكتابتها في شهر رمضان المُبارك 1445هـ إلى يوم نشرها، رغم صعوبة الاتصال في غَزَّة وضعف شبكات الإنترنت فيها، إلى مرام البخيت تقبَّل الله رِبَاطها وربَاط أهلها.

مذكرات أردنيُّون في طوفان الأقصى

سيف القدس

كنت مُتابعًا لكل ما يجري في معركة سيف القدس، كنت أرى المجاهدين كيف يُصَلُّون في جماعة، كيف يتدارسون القرآن، كيف يتبتلون ويناجون ربهم، كانت تلك المشاهد تأسر قلبي.

وما كان مني سوى كتابة قصيدة أتضامن فيها معهم آنذاك:

أَوَهَل ظَـنـنـتَ بأنَّـنـا ننســى الفدا
أوْ أنَّ وعـدًا مـن فـؤادٍ قد عَـدا
فاقـطـع بِـعِلـمك ألـفَ شكٍّ مهلكٍ
إنْ كانَ ريــبًا في خيــالك قد بدا
قد جَفَّ ماءُ الوجـه قبـل هُـنَـيْـهَـةٍ
ومُصــابُ جـاثومٍ تَظُـنُّــهُ راقدًا
فارْشق وُجُوهًا من عَنــادِمِ إخوةٍ
طــابت دِمــاء مُبَـايِعٍ واستشهدَ
بــل ذاك كيــدٌ فوق كيــدٍ دامــغٌ
نُصِرت عصا موسى فَخِرُّوا سُجَّدًا

وإذا سَكَـــتَّ سَمِعْتَ صوت أُمَيْمَـةٍ

في القدسِ تَصْرُخُ تستغيثُ المُنجِدَ

مِنْ بَعْدِ رَحْمَةِ رَبِّها صَرَخَت لَـهُم

يـا ضِفَّـةً يـــا أهل غَـــزَّةَ أَسْـنِدا

أَظَننتَ أنَّ الضَّيفَ صُمَّ عن الندا؟

أو أنَّ مُـعْتَـصِـمًا بِـنـــا قـد غُـمِّدَ

فابقى بِظَنِّكَ يا حَزِينُ ولا تَخَـــفْ

عَيَّاشُ والعَطَّارُ مِن فـوقِ العِـــدا

وَشِهـــابُ قَد صُنِعتْ بأَيْدٍ هاهنـــا

وقِبابُ صدٍ فَوقَهُم صَارَتْ سُدًى

وَتُشِيعُ أخـــبـــارًا بأَنَّكَ حَـــالـــمٌ

وإذا نَجَحتَ فإنَّ شَعْبِيَ مُبْعـــــدًا

حاوِل وقاتِـــل ما استَطعتَ تَجَلُّدًا

إنَّ الإلـــه بِنَصرِنـــــا مُتَـوَعِّـــدَ

إنَّـــا لَـكُـم يـــا شَعْبَـنـــا فَتَصَبَّروا

لله والأقصـــــــى إلى حَدِّ المَـدَى

ما النَّصْرُ إلا في تَصَبُّرِ ساعَـــةٍ

فالنصرُ والتحريـــرُ مَوْعِدُنا غدًا

رنيم صوالحة [1 شوَّال 1442هـ]

وعندما أبديت إعجابي بهم، ظهر لي أُناس لا أعلم مُسمًى لهم، إلا أنهم كالفيصل بين صَفْوَف المسلمين يُشَتِّتُونَهَا، يطعنون بعقيدة أولئك ومذهبهم، ولكن السؤال الذي لا أجد عندهم إجابةً له، ما الفائدة؟

تراهم يقولون: "افترقتِ اليَهودُ علَى إحدَى وسبعينَ فرقةً فواحدةٌ في الجنَةِ وسبعونَ في النَارِ وافترقتِ النَصارى علَى ثنتينِ وسبعينَ فرقةً فإحدَى وسبعونَ في النَارِ وواحدةٌ في الجنَةِ والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ لتفترقَنَّ أمَّتي علَى ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً واحدةٌ في الجنَةِ وثنتانِ وسبعونَ في النَارِ قيلَ يا رسولَ اللَّهِ مَن هم قالَ الجماعَةُ ". [صحيح]

ويحكم! أتعقلون؟ أتقولون عمَّن يُمسِّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة ويؤمنون ألَّا إله إلَّا الله ويجاهدون في سبيله، تُبْتَر أطرافهم، ويُوتَرُ أَهْلُهُم ويَضِيعُ مَالُهُم أنهم فِرقَةٌ فِي النَّار!! مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون؟ لو كُنْتُم في المَيْدَانِ حَقًّا لكان لكم أن تَتَخَيَّرُوا، ولكِنَّكُم تُصدِّقُون أيَّ فَاسِقٍ بِأيِّ نبأٍ دون تَبَيُّنٍ أو تَثَبُّت، وإنَّ الرَّاسِخِين في العِلم ما قَالُوا هَذَا، ولو سَمِعتُمُوهم لَعَلِمْتُم نَهْيَهُم عَن النِّزَاعِ الذي لا طَائِلَ مِنْهُ سِوى تَمَزُّقِ الصَّفِّ المُسلِمِ!

يا لِسُوءِ ما تَقُولُون، تَطْعَنُونَ بِمَنْ لَو أَرْخَو أكُفَّهم عن الزِّنَادِ لَمَا قَامَتْ لَكُمْ دُنْيَا وَلَا أُقِيمَ لَكُم دِينٌ.

لَستُ فِي صَدَدِ مُجَابَهَةِ مُحِبّي النِّزَاعَاتِ والنَّعَرَاتِ بَينَ المُسلِمِين فَلَا طَائِلَ مِنْ ذَلِك، فَلْيَمْضُوا لِمَا أَرَادُوا، وَسَأَمْضِي لِما أُرِيدُ، أُرِيدُ غَزَّة!

أثناء وِقْفَتِنَا الاحتِجَاجِيَّةِ على الحُدُودِ الأُردُنِيَّة الفِلَسْطِينِيّة استَطَعتُ أَنْ أَتَسَلَّلَ إِلَى الضِّفَّة الغَربِيَّة، لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ هَاتِفٌ ولا أيُّ شَيءٍ إِلكتروني، كنت قد ودعت أهلي وودعوني وهم راضون عني وأنا عنهم راضٍ.

دخلت القدس التي حُرمت منها طوال حياتي، ليس لأني فِلَسْطِينِيّ، فأنا أردني أبًا عن جدٍّ، ولكني مسلم مسلم، دخلت مُهددًا بالموت المُحدِق، لَمْ أَكُنْ مُلاحقًا بعد، وقد سمعت في أحد المقاهي خبر اعتقال الاحتلال لأردنيَّيْن مُتَوَجِّهَيْن إلى الشيخ جرَّاح، نظرت في نفسي حيناها، دعوت لهما وحمدت الله أن ألهمني التَّظاهر بأني أخرس، كنت أُقصِّر ذقني وأُطيل سالفي، عندها تمنيت لو أني تعلَّمتُ العبرية، لكانت الأمور أسهل عليّ.

لَمْ أَكُنْ أثبت في مكان واحد، كنت أتنقل باستمرار، كنت أهوجًا حقًّا، دخلت ملحمة دون سلاح أو خطة أو هدف، ولكن حصل ما لَمْ يَكُنْ في الحسبان.

كنت سائرًا في الطريق أتسول لأجد طعامًا أسدُّ به جوعي، وما كان تسوُّلي لقلّة أصلي، ولكني لَمْ أَكُنْ أنا، كنت النسخة اليهودية التي ارتضيتها صورةً لأدخل الضِّفَّة، لَمْ أستَطِع مُقَاوَمَة الكيس الأسود الغليظ الذي غطى

رأسي في لحظة، ولَمْ يَكُنْ الصراخ حلًا مناسبًا، فأنا أحاول صرف النَّظر عني ومن الجنون أن أوجِّه الآن الأنظار إلي، ثم إني أخرس حسب محاولاتي التمثيليّة.

وضعوني في سيارةٍ مُكبَّلًا، وأخذوا يسحبون الأقسام في مسدساتهم كأنَّهم يُهدِّدونني بقرب الموت.

يا إلهي، من هؤلاء، أَهُمْ أحد العصابات التي سَتَكُفُّ عني بمال أو مصلحة، أم ثأر قديم لاحقني وتتبَّعني، أم شرطة الاحتلال وأعوانهم وقد أوقعوا بي، من هؤلاء؟!

شعرت بالسيارة تتوقف وينزلون منها ليجذبوني جذبًا مؤلمًا، وأنا أكتم تألُّمي فيتسرب صوت الأنين من خلف أستار مسرح الأخرس.

ألقَوني على كُرسِيٍّ بلَاستِيكِيٍّ، شعرت بذلك وسمعت صوته عندما جلست عليه، ولكن من الذي سيضع رهينةً على كُرسِيٍّ بلَاستِيكِيٍّ!!

كُنتُ مُقيَّدًا بإحكام، وما استطعت حِراكًا فنمت هناك، استيقظت مع تكبيرة أذان الفجر، وأردت الوضوء، وأنا مُقيَّد.

هل أكسر دورِي التَّمثِيلِيَّ الذي لا أدري عواقبه لأُصَلِّي؟

لا أعلم عاقبة إكمال دور الأخرس أو عاقبة انتهائه، ولكني أعلم جيدًا عاقبة فوات صلاة الفجر.

-"لا أعلم من أنتم ولا يهمني ذلك، أُرِيدُ ماءً يا أنتم."

= "لن نعطيك الماء حتى تُجيب عن أسئلتنا."

كانت لهجته عربية فِلَسْطِينِيّة، وكيف لا أعرف لهجة أهل فلسطين وقد عاشوا معنا وتأثرنا بهم وتأثروا بنا!

فصارت الاحتمالات في عقلي أقل؛ قد يكونون فِلَسْطِينِيّين حذرين، أو عصابة، أو جواسيس بني صهيون.

-"سَلْ..."

= "من أنت؟"

-"إن كنت قد خطفتني فالأَوْلى أنك تعرف من أنا."

= "انظر يا هذا، نحن نعلم أنك من المخربين المتنكرين لتؤذي مواطني دولة إسرائيل الكُبرى بدليل نُطقك بعد ادعائك البُكم، لذلك اعترف بهويَّتك ورُتبَتِك ومن معك، اعترف بخططك التي نفذتها والتي تنوي

تنفيذها، قبل أن أُذيقك من العذاب ألوانًا ما ظَنَنْتَ أنها ضمن ما وُجد على هذه الأرض."

صحيح أن الفرحة قد تكون على شكل اعتراف من العدو ببطولتك، وإن لم تكن صاحبها، ولكن لَمْ يَكُنْ لدي وقت لهذا، ستفوتني صلاة الفجر، ما العمل الآن!!

أعلم أنه لن يملَّ مني ولن أملَّ منه، ولكن الشمس لا تنتظر أحدًا، تشرق بأمر ربها متى أذِن لها، ولن تشرق الشمس بكثرة المُصلِّين، ولن يُبطئ إشراقَها قِلَّتُهم، فكلٌ في فَلَكِه يسبح، وكلٌ ماضٍ لِما خُلِقَ له.

في محاولات استخراج ما يريده مني، تنحنحت وتهيأت لأبصق بصقة تصيبه على الأقل ليستسلم فيحضر لي الماء، فأنا أعلم أن تضحية هؤلاء معدومة، وإن كانوا أقوى عُدَّةً وعَتَادًا.

سمعت حركة سريعة كأنه تفاداها ثم لطمني لطمة وقال: "أتظن أنك ستصيبني بنجاستك أيها العربي!!"

يبدو أنني خسرت الجولة، ولكن لا بأس، فهذه أول مواجهة لي مع عدو، قاطعني صوته: "هل ستُجِيب أم نبدأ لعبة التعذيب؟"

أردتُ أن يتركْني لأداء الصلاة أولًا ثم يعذِّبْني كما شاء، ولكني أعلم أَلَّوْ طَلَبتُ ذلك فسيمنعني منعًا أشدَّ من منع الخنزب، ولكن لا بأس، قد يأسرني عدوي ويعذِّبني لكنه لن يَصِلَ إلى قلبي، فبدأت:

"الله أكبر....."

لَمْ أستَطِع الحركة، ولا ماءَ أَتَوضَّأ به ولا تربةً للتيمم، ولكن الله يرى.

بعد الحمد لله رب العالمين سُكِبَ عَلَيَّ دلو ماء أُتْبِع بقول: "تريد الماء لتتوضأ؟! لِمَ لَمْ تقل؟ نحن في إسرائيل نرحب بكل الديانات، فنحن دولة التسامح والأخلاق."

أكملت صلاة السنة كاملة، لَمْ أُرِد أن يَشمَتَ بِقَطْعِ صلاتي، لا بأس سأعيدها.

أنهيت صلاتي ثم قلت: "إذن هاتِ الماء يا سفير التَّعايش"، ضحك ضحكة مُستفزة ثم أزال عني القيد والرِّبَاط وأبقى عينيَّ معصوبتين، وقرَّب مني الماء ثم تحدَّث بالعبرية، وقال لي:" ناديت لك خادمي الشخصيَّ لِيَصُبَّ الماء عليك."

شعرت بقيامه وجلوس آخر بعد هُنَيهة، ولا أعلم يومًا تواضع فيه اليهود حتى أشم رائحة عطر الغلام كعطر سيده.

توضأت وصليت وجلست، ثم أزال العصبة عن عيني أخيرًا، أعتقد أنه كان ضابطًا في جيش الاحتلال، أو.... لا أعلم، لا أعلم الكثير عن جيش الاحتلال، ولكنه كان يرتدي زيًا عسكريًا ويُجلسني في غرفة مظلمة لَمْ أستَطِع تحديد ملامحها جيدًا، تُضيء فيها نجمة سُداسية.

=" أعطيتك كل ما تريد وأكثر، والآن دوري لآخذ ما أُرِيدُ."

نظرت نظرة مِلؤها التحدي دون أن أَنبِس بِبِنْتِ شِفَةٍ، كنت أعلم أني إن اعترفت بجنسيتي سأستطيع الخروج بحماية الحكومة الأُردُنِيَّة، ولكن ماذا بعد؟

ليس قبل أن أُصَلِّي في الأقصى على الأقل.

= "يبدو أنك لا تريد الاعتراف!"

أحضرَ الصاعق الكهربائي وأخذ يُسمعني صوت تماسِّه علَّنِي أَجْزَع، فخفت فعلًا، ولكن هذا الصوت ذكّرني بهزيم الرعد إذ يتبع البرق، وبقولي سبحان الذي يسبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته.

فقلتُ: "سبحان الذي يسبِّح الصاعق بحمده ولكن الإنسان لا يفقه تسبيحه."

= "ما رأيك أن يقشعِرَّ جلدُك بقرب تسبيحه؟"

هذه الضحكات الساخرة أيقظتني، عَلَيَّ ألَّا أذكر الدين أبدًا في هذا المكان، فذلك سيكون عرضة لسخريته وإساءاته، ولكن أَلَمَ الصاعق قد يفوق قدر تحملي، لابد أن أجد طريقة أحتمل فيها ولا أميل، عليَّ استنزافه....

-"اسمع، أظن أن حال اليد اليُمنى صار أفضل يمكنك أن تبدأ بصعق اليسرى، هي الأخرى تحتاج تدليكًا."

لَمْ أَكُنْ أقصد إغضابه لدرجة طرحه الصاعق أرضًا ليجعلها قطعًا متناثرة، لكنه رش وجهي بما لا أعلم.

أفقت فوجدتُنِي جالسًا أمام الطاولة ويديَّ مُقيدتين بها عليها، وهو جالس أمامي.

= "صباح الخير، حضَّرت لك مُفاجأة رائعة، هل ترى أصابعك العشرة التي لا تستطيع تحريكها؟ سأجعل لكل إصبع منها سؤالًا، إن أجبت عليه نجا وإلا فسنعزف عليه أشعارَ العَذاب بالمطرقة يا عزيزي."

الحمد لله أن مشاعري لا تَخرُجُ بسهولة، تلك كانت أسوأ لحظاتٍ في عمري، كنت أسمع عن هذه الطُرق في التعذيب وأتألم لمجرد السَّماع، فكيف بالموقف ذاته!

تذكرت اللصَّ صاحب سجنِ أحمد بن حنبل "أول عشرين سوطاً فقط، ثم بعدها لن تشعر بشيء"، ولكن أصابعي عشرة!

الحمد لله أنها عشرة، سأتألم نصف ألم السجون إذن.

نظرت إليه متحديًا مُبتسمًا وقلت: "أقترح أن تأتيني بعشر رجال ليضرب كلُ واحد منهم إصبعًا ولا تضعف في هذا العذاب قوةٌ، ولا بأس إن أتيتني بأشباه رجال، أُقدِّر نقص الرجولة عند أمثالكم".

نعم توقَّعتُم ما حصل، حطَّم يدَيَّ وما استطعت أن أكتم صَرَخاتي، هذا أصعب من الصاعق، ولمَّا انتهى ضربًا أتى بحقنةِ "نصل الحقيقة" وقال: "تسبَّبتَ بتعذيبِ نفسك بلا جدوى، سأُحصِّلُ ما أُرِيدُ بهذا النَّصل، نَصَحتُك من البداية، ولكنك لا تسمع كلام أسيادك."

-"هه، السيِّدُ أيُّها الأعجمي هو مولى السَّواد، يعني الجماعة الكثيرة، ولكن أمَّة رسول الله ﷺ غَرَّاءَ مُحجَّلةً، فأنَّى لك أن تسود أحدًا منها."

وقف معتدلًا ورفع الحقنة عاليًا وأفرغها في الهواء ووضع الإبرة جانبًا ثم قال بصوت مرتفع: أُنجِزت المهمة يا شباب، يكفي الآن تعالَوا.

فإذا شابين فِلَسْطِينِيّين يدخلان علينا:

= آه يا أحمد، كيف جَرَت الأمور.

قال وهو ينزع عنه ما تنكر به ليوهمني: كل شيء على ما يُرام، ثم نظر إلي وقال: وحظينا بصيد وفير اليوم.

ثم فك قيودي لأكتشف أن اليد التي هرسها لم تكن إلا دمية، وقد أخفى عني يدَيَّ فلا أراهما، واتَّبَعَ تلك الحيلة النفسية عليَّ، أما الصاعق فكان حقيقيًا يقيس تحملي، والنَّصل لَمْ يَكُنْ سوى ماء.

= الحمد لله الآن يمكننا الاطمئنان.

-من الذي صبَّ علي ماء الوضوء؟

تبادلوا النظرات ضاحكين فالتفت أحمد إليَّ:

= هذا الذي أهمَّك؟!!

-لم تكن لتفوتني رائحة عطرك الخفيفة، نحن قومٌ عَمِلنا كما يشاء الله لنا، فعملت أعضاؤنا كما خلقها الله لنا.

= ونعم بالله، ولَمْ يَكُنْ ليسبقني أحدٌ إلى وضوئك.

۞۞۞

= مهيار، انتبه، سنصل فتحة النفق بعد خمسة أمتار.

-حسنًا.

إن الذي يرى النفق، يظن أن عجائب الدنيا السبع أمام هذا النفق قد سقطت، كما سقطت مدرعات النمر تمامًا أمام ابن جرَّاحنا، لن أصِفها لكم، ولا تبحثوا عن صورٍ لها، اصبروا حتى يأذن ربي وربكم فنصلي في المسجد الأقصى خلف بانيها، ليخطب فينا بعد الصلاة عن إبداعها.

۞۞۞

= نعم يا مهيار، هذه غَزَّة.

-لَمْ أَكُنْ مُرتاحًا لك أبدًا، ولكن النفق الطويل والأنفاق المتعددة التي دخلناها من بعده كانت وثيقة صدق أنها لم تكن خدعة.

= أحسنت يا صديقي، إن ما يجعلنا في انتصارات تعقبها انتصارات، هو انعدام ثقتنا إلا بمن كان الله بيننا وبينه.

-لم أفهم.

= أخبرنا رسول الله ﷺ بصفات المنافق: كذب وخيانة وغدر وفجور في الخصام، وتلك صفات تعرفها حتى في أسهل الظروف في أي إنسان، فالكاذب الذي لا يراعي حق الله في لسانه، لا تظننَّ أنه سيخاف الله بك، وقِس عليها، والقرآن مُخبِرُنَا بصفات المنافقين بل ويُنبِئُنا بما في قلوبهم وما لَحِقَ بها من إعلال، كالطَّبيب إذ يخبرك بخفايا أعلال الجسد، حماك الله من المرض، ولله المثل الأعلى، فإن كان الطبيب يُنَبِّئُكَ بعلمه في طبه، فالأَوْلى أن تسلم لله الذي يُنَبِّئُكَ بما خلق بيديه سبحانه.....

= ها، تكلم يا مهيار، كيف ترى رحلتك إلى غَزَّة؟

-بصراحة، كنت خارجًا لله، وظننّت أنّنا في زمن السيف والمصارعة، لَمْ يَكُنْ لدي أدنى فكرة عن حرب هذا الزمان، أحيانًا أشعر أنهم وضعوا قوانين الحرب ثم أخفَوها عنا لينتصروا علينا.

= بالضبط يا صديقي، تلك هي العقول البشرية، لذلك سنضع نحن قوانين للحرب فنأخذ بالأسباب ونتوكل على الله فيكتمل نصاب النصر لنا، ولا سبيل لنصر نصابٍ ناقص أمام نصابٍ كامل.

-معك حق، ولست نادمًا على خروجي، فهذه فرصتي أخيرًا لأعلم سرَّ أهلِ غَزَّةَ، أصطفاهم الله علينا واستبدلنا بهم! كيف سبقونا إلى الله!

= سأدعك تجيب عن أسئلتك بنفسك على هذه الأرض، ولكن اعلم أن أهل غَزَّة لَنْ يَنْسَوا إخوانًا لهم أحبوهم وانطلقوا نحو الحدود لأجلهم، لَنْ يَنْسَوا إخوانًا أرسلوا أطباءَهم وأموالهم لإعمار غَزَّة، لستُم أكرم منَّا يا مهيار، والله لو رحمني الله وأدخَلَنِي الجنة لَأَقِفَنَّ على الباب أتفقد من بكى دمعة لأجلنا، فكيف بمن تحرَّك؟؟ في الإفك ما كانت تفعل صاحبة عائشة -رضي الله عنها- إلا أن تبكي معها، وما دَرَأَت عنها من السُّوءِ شيئًا، ومع ذلك كانت تقول :" والله لا أنساها لها"، هذا بلاغٌ لِمَن يقول: "لن تروي دمعتك أهل غَزَّة!" يا مهيار استُضعف المسلمون في كل الأرض وهم

يحاولون قتل ما استطاعوا من إسلامنا فينا، يا مهيار، لا تدعهم يقتلوا دمعتك، لا تدعهم يقتلوا مشاعر الحب والأخوة التي ما جَمَعَت إلا المسلمين، كل خيوط الوصل واهية، إلا التي بُنِيت في ظل عرش الرحمن.

ذهب أحمد، لأبقى وحيدًا أجول في شوارع غَزَّة، أُريدُ أن أعرف سرّهم الكُبَّارَ، كيف أكون مثلهم؟ لِمَ مثلهم؟ لأجل المسك، أحب المسك، فإن كان خَلُوفُهم في الدُنيا مسكًا، فكيف بما وُهِبوا هناك؟

۞۞۞

في جلسة القهوة الصباحية دخلت الجارة أم عمران إلى المجلس تصبُّ فنجانًا ترفعه وتقول: هذا فنجان غَزَّة.

فنظرت النسوة بعضهن إلى بعض، كأن كل واحدة منهن تقول للأُخرى: من بَعدِك.

فوقفت أم محمد أمامهن لتنهي هذه المهزلة قائلة: أنا له.

فقامت إحداهن تقول: يا أم محمد، ما كان قول أم عمران إلا عن حميَّة أصابتها ولو كان قولها حقًا فلن يشرب القهوة أحد! أنّى لنا ثأرًا لغَزَّة؟!

أم محمد: يا أم عمران لا تصبي القهوة للنسوة حتى أنهي مقالتي فيهن، وهن سيُحددن إن كُنَّ سيشربنها باردة كما شَبِمَت أفئدةٌ قد اكتوت بنار الغضب من قبل.

أم عمران: نِعم القول يا أم محمد، قولي..

أم محمد: من منكن لم تشهد وفاة عزيز؟ لقد حضرنا العزاء في جميع بيوتنا، وإني ورب العرش أعجب من الذي عرف موت الحياة وحياة الموت ثم يختار موت الحياة، وإني لأظنكن أكبر من هذا السفه بارك الله فيكن، قد علمتن قَدَرَ الله في خلقه، وعلمتن أن الذي يفرُّ من الموت يلقى

الموت أثناء فراره، وأحيانًا يقترب من الموت في فراره منه، ألم تسمعن قول الله ﷻ:

"قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" وآية أخرى كما المسطرة قياسًا، تُري الناس خامة قلوبهم بأقوالهم وأفعالهم: "ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ".

أم اليمان: صُبِّي القهوة يا أم عمران فوالله ما كان لي أن أظن بالله ظن الجاهلية وقد أكرمني بالإسلام، ونعلم أن حياتنا ومماتنا لله وما لنا في الدنيا شيئًا ولو حِزناها بما فيها خالدين فيها، هي دار شقاء، ولَنظرة رضًى من الله خير من الدنيا وما فيها فما أصبرنا على نظرة سخط، وإن الأمر بيد

الله، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، والله ما تُليت علينا آيات الله إلا زادتنا إيمانًا به، سبحانه حبيب القلوب وطبيبها، ومن خلا قلبه من الله انقلب على عقبيه فلن يحسن من بعد ذلك سبيلًا، أنا له يا أم عمران، أنا له.

أم هيثم: صدقتِ يا أم اليمان، إنه لبيت شعر جاهلي أَقرَّه رسول الله ﷺ وصدَّقه: "أَلا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللَّهَ باطِلُ" أفيُعقل يا من ارتضيتن الله ربًّا أن يكون بيت شعرٍ جاهلي أسبق إلى الله منكن، صبِّي القهوة يا أم عمران، فإنَّا قد وَهبنا من أجسادنا لأبنائنا ليَحيَوا، أوَتَرضَوْنَ لهم موتًا بعد حياة، أفلا تعقِلن؟ لا وربي بل لِوَلَدي حياة بعد الموت بإذن من علَّمنا ألَّا معبود سواه.

بابتسامة باردة تقوم أم مهند إلى أم عمران تقول: هاتي الدلة يا أم عِمران، سأصب أنا بارك الله فيكن.

أم اليمان: ما الأمر يا أم مهند؟ منذ أمس وحالك غير الحال الذي عهدنا.

ابتسمت ابتسامة أعرض وأبرد: لا بأس، طهور إن شاء الله.

قُلْنَ: من مَرِض؟

أم مهند: ألم تعلمن أن المؤمن مأجور بشوكة يُشاكها، يُطهِّره البلاء تطهيرًا، وإن مهند ابني رضي الله عنه، أُصيب أمس في قدمه برصاصة

مطاطية، خرجت بالخطأ من مسدس أمن الحدود بعد تدافعه معهم ونفيره إلى أرض فلسطين، كانت إصابته همٌّ يكبِّل خاطري، وقد غضبت منه أمس وقلت له: ليتك سمعت قولي ولم تخرج، هل حررت فلسطين الآن؟ لم تعد إلا بإصابة تُثقل كاهلي بها، لو أطعتني ما جرى لك ما قد جرى. فقال لي: "سامحيني يا أمي، ولكن نداء الحق في قلبي علا صوتَك عندما نهيتني". ولكن الآية التي قرأتها أم محمد كشفت عن خفايا قلبي الذي أسأل الله أن يغفر ما كان فيه سواه، فقد شابه قولي قول المنافقين، ليتني تفقدت إيماني بالقَدَرِ قبل أن أنطق، وليتني تفقدت إيماني بالآخرة التي إليها مآلنا، وليتني تفقدت إيماني بالله الذي لا يعلو على دُعائه للمؤمنين عندهم شيئًا.

أم محمد: سبقتِنا يا أم مهند، أراك أول من تحسس الجرح وضمده، يا لعظيم حظك!

أم مهند: سمع الله منك، وتقبل مني ومنكن جميعًا.

أم بديع: صبي القهوة يا أم عمران، دعننا من هذا التنظير الفارغ، شعرتُ للحظة أننا في المسجد النبوي في العصر الراشدي، بردت القهوة وأنتن تتحدثن فيما لا طائل منه، أليس كذلك يا أم تيم؟

أم تيم: بلى، أنت محقة.

أم هيثم: سيداتي سادتي اسمحوا لي أن أقدم لكم نموذجًا واقعيًا للفريق الثالث والطابور الخامس، إنها أم بديع تدا تدا.

فوكزت أمُ محمد أمَ هيثم أن اصمتي.

فخرجت أم بديع عن السمت الآدمِي، وصاحت كالأجيرة في المآتمِ: حدَّكِ يا أم هيثم الزَمِي، أنا أصيلة وابنة سُراة القوم إن لم تعلمي، فارقبي نفسك من قبل أن تحكمي، وليتك يا أم بديع تسلمي، من شر أم الهيثم، يا أوجاع الناس، وحرَّ النحاس، وهمس الوسواس، وعونَ الخناس، انظري لنفسك أولًا، ولا تحكمي على الناس قبلًا.

فردت أم هيثم واقفة غاضبة: صَهٍ صَهٍ يا جالبة الفتن، ومُثقلة المِحن، ورافعة الشجن، يا حارقة الأماني ومُتلفة السِنانِ وسفيرة الأحزانِ، وسيئة اللسانِ، قفي عن الكلامِ، واتقي شر انتقامي، فلستِ بخير نملة، ولا بدأب قملة، فأسدلي عليك الحجاب، وأمسكِي طرف الباب.

وقامت النسوة بينهن يفزعن، وأم محمد تصيح فيهن، وأم عمران أوقعت الدلة وأم اليمان محوقلةً مهللة، وأم الهيثم تضربها أم بديع، وليتها بذلك تحسن صنيع، وأم مهند تذود عن أم هيثم، وأم تيم اختبأت بأم أدهم، ولا شربنَ قهوةً، ولا غَدَيْنَ صَفْوَةً.

۞۞۞

استيقظتُ على صوت كهل يقرأ ما تيسر له من القرآن ليلًا، اضجعت وبقيت مستيقظًا أمتع مسمعي بصوته العذب، وعيناي تغلبانني تارة، وأغلِبها أخرى، بين المنام والاستفاقة، ولكن السمع يعرف وجهته جيدًا، فلم ينقطع عن سماعه.

فإذا بالمؤذن يدخل فجلست، ورُفع الأذان الأول فتوضأت، علِّي أنال أجر الرِّبَاط في انتظاري للصلاة، والكهل يتوقف مع كل أذان ويردد مع المؤذن، ثم يعود لمُصحفه يُرتّل، وأُقيمت الصلاة فصلى الناس وصليت، وتعمدت النظر خلفي بعد الصلاة فوجدت صَفْوَف المصلين ممتلئة، ليس غريبًا علي هذا المشهد، فعندما كنت في الأردن لَمْ يَكُنْ عدد المصلين يقل عن هذا العدد، الفرق أن هذه صلاة الفجر وفي بلدي كانت صلاة الجمعة.

= بُنَيَّ، دخلتُ المسجد فوجدتك نائما، منذ متى وأنت هنا؟

-منذ أمس.

= بنى ابني فوق بيتي بيتًا له، ولم يسكنه فقد استُشهدت خطيبته في الحرب الماضية، تعال ونَم فيه، إن كنت مهاجرًا فنحن الأنصار.

لَمْ يَكُنْ ذلك جديدًا علي أيضًا، فلست أنسى مسؤولي في العمل عندما آوى أحد اللاجئين السوريين في مكان العمل إلى أن لملم شتات أمره

ومضى، نعم قد كان بيننا عنصريون، ولكن المجتمع صالح وأولئك فاسدون، سرطان خبيث في الجسد يعني أنه يحتاج استئصالًا، ولا يعني أن سائر الجسد خبيث.

تلك الدقائق التي تفكرت فيها كانت كافية تماما لاجتماع الشباب والصبيان في حلقات متفرقات يُدير كل حلقة منهن شيخًا، أعتقد أنني وجدت الفرق الثاني.

الحلقات، لا نحظى بهذا في الأردن، رغم الرغبة الشديدة من الجميع، بل ألاحظ إقبال الأهل على فُضلى المدارس، واستعانتهم بمعلم القرآن إذ يأتي إلى منزلهم يعلم أبناءهم، لكثرة المدارس، وقلة حلقات المساجد.

كانت الحلقات كخلايا النحل بل أعظم مغنمًا، أفواههم فيها ما يفوق العسل شفاءً، كأن هذا المشهد استراحة من الدنيا إلى الآخرة قليلًا.

كان الكهل قد أنهى حاجته من أهل المسجد ونادى علي لأرجع معه، فرجعت.

وأثناء سيرنا اصطدمت سيارتان ببعضهما، إحداهما كانت تقودها فتاة، بَقِيَتْ جالسة في سيارتها، لَمْ تعلم ماذا تفعل، فإذا رجل يقول لها يا ابنتي اذهبي لأمرك وسأتكفل بما أَلَمَّ بك، توكَّلي على الله ربي وربك.

ثم التفت إلى صاحب السيارة الأخرى: دعك من الفتاة، سأتكفل بالإصلاح.

رد السائق: لا والذي رفع السماء بلا عمد، أتفوقني بالخير أجرًا!! لو كان شيئًا من الدنيا لقلت لك هاك، ولكنها الجنة يا أخي!

وهذا المشهد أيضا لَمْ يَكُنْ غريبا علي، هو مشابه لِما عندنا في الأردن، تلك الشهامة التي نُعرف بها.

= وصلنا.

-يا عم، أخجلتني بعطائك، ها قد سرت معك مؤنسًا لك في الطرقات، فدعني أعود إلى المسجد.

= يا بني، لم أَرَ ابني منذ شهر، ورأيته في ملامحك، أيغيب الشَّبَه عني أيضًا؟

-لان قلبي لما قال، أو ضعف، فسرت معه، وأكلنا من الإفطار طعامًا شاميًا شهيًّا، لم أتَنَعَّم بجمال مذاق الموروث منذ زمن.

استأذنته كأبٍ لي، ونزلت إلى طرقات غَزَّة وشوارعها، ركبت إحدى سيارات الأجرة، فأخذ يتأفف ويتضجر من معيشة غَزَّة، حاولت تصبيره

ولكن بلا جدوى، فلما أخرج سيجارته أوقفته ونزلت، لا بأس، أعلم أن هذا ضمن السرطان الذي لا يجعل الجسد خبيثًا، بل يُألِّمُه فقط.

أوقفتُ سيارةَ أجرةٍ أخرى، كان شابًا، سعيدًا طيبًا ذاكرًا لربه مهللًا سَمِحًا، سألني: هل ستشارك في مسابقة صَفْوَة الحُفّاظ؟

-وما ذاك.

=مسابقة لسرد القرآن بجَلسة واحدة، ستكون الأجواء فوق الخيال، تعال وإن لم تكن تحفظ شيئًا، تعال متطوعًا، إن لم تتمكن من التطوع فتعال ومتع ناظريك بجمال تالِينَ كتاب الله.

سرد القرآن بجَلسة واحدة!! محال، هذا الرجل يمزح.

أنزَلَني عند الجامعة الإسلامية، تلك الجامعة العريقة التي خرَّجت علماء وشهداء وقادة، وأخذت جولة بين جامعات غَزَّة.

وجدتُ في الجامعة الإسلامية عُجاب، فيها فصل كامل بين كليات الشباب وكليات البنات، والبنات فيها يلبسن اللباس الشرعي كاملًا بالجلباب بلا زينة، تجد فيها مظاهر تعظيم حرمات الله، فتحسرت على وطني، أننا لا زلنا نرى هذا الأمر قيودًا وحريات شخصية، ولا فصل بين ذكور أو

إناث، أبواب الفتن مُشرعة في جامعاتنا، رغم العمل الإسلامي والوعي الطلابي، إلا أن فتن الجامعات مهلكة.

ذكرت الوظائف التي خسرتها بسبب الاختلاط غير المبرر فيها، في كل مرة كنت أسمع "هذه حرية شخصية، وقناعات فردية، وليس لك أن تعترض فيما لا شأن لك به" سبحان ربي! ألا تَرون أنكم تفرضون سَفَاهَاتِكُم الشخصية علي؟ أم لكم حق الاختيار وترونني العبد المأمور؟

إني أنا العبد المأمور، لربه ﷻ فقط، خسئتم إن ظننتم أنني سأعصيه لُأُرضي شياطينكم.

في الجامعات الأخرى غير الإسلامية، تجد الطلاب الذكور يحضرون إلى الجامعة بأيام مختلفة عن الإناث لمنع الاختلاط أيضًا، يا لجمال الصون!

أثناء تجولي مررت بمدرسة دار الأرقم في غَزَّة، وقفت أمامها طويلًا، وأنا أحدق باسمها، والدمع في عيني مترقرقًا، دار الأرقم، كم يخفق قلبي عندما أقرأ اسمها أو ألمح ما يذكرني بها، لا تؤاخذوني، فأنا أرقميّ، ابن مدارس دار الأرقم الإسلامية، تلك التي في ضاحية الرشيد في عمان، لا تلوموني لو سمعتموني أتمتم دون لجم عَبَراتي:

الأرقم أعظم مدرسة رَبَّت للأمة أبطالًا

ورسالة أرقمنا الكبرى صاغت عمَّارًا وبلالًا

بل إنني لست أنسى ذلك اليوم، يوم تخرجي، إذ ألقيت قصيدتي على المسرح أمام زملائي وأصحابي وأهليهم والمعلمين جميعًا، لن أنسى تلك الأبيات التي كتبتها بقريحتي، لا بقلمي:

هَل لِي وُقُوفٌ أم رِثَاءُ المَاضِـي ... أَأَنَـا البَعِيدُ أَمِ انْقَضَتْ أَيَّامِي

هَل لِي إِلَيكُم أَنْ أَعُـودَ هُنَيْهَـةً ... لِأَعَانِقَ الذِّكرَى وَأَرْوِ هُيَامِـي

دَعنِي أَيَا زَمَنِي أُقَلِّـبُ مُقْلَـتِي ... فِيمَا مَضَى عَقدًا وَزِيدَ بِعَـامِ

هَل يا تُرى أَجِدُ الحَيَاةَ بِبُعدِكُـم ... أَم أَكتَوِي يا سَلْوَتِي وَجِمامِـي

عَلّمتِنِي أنَّ الـشـهـادَةَ عِزُّنـا ... أنَّ الحيَاةَ لَهـا مَـرامٌ سـامِ

عَلّمتِنِي أَنَّي خُـلِقـتُ لِغـايَـةٍ ... هي أنْ أُحَقِّقَ في الدُّنا أحلامي

عَلّمتِنِي أنَّ العُلـوم مَطِيّـتِـي ... لا شَكَّ تَحمِلُنِي إلـى الإلـهَامِ

عَلّمتِنِي أنَّ الحيـاة ضُمـورٌ ... تَشْقَى بها يا حَـامِلَ الأسقَـامِ

إلّا بِصُحبَـةِ مُحكَمِ التَّنزِيـلِ ... فاتْلُـو كِتَابَ اللهِ ذي الإكرامِ

دَعـنِي أيَا زَمَني أَسِيرُ بِبَاحَةٍ ... لأَرى جَمَالًا يَشْفِ لي آلامي

أصحـابُ سَلّتِنا أَرَاهُم هاهُنا ... لَبِكُم يُحـالُ الحُزنُ للإعدَامِ

أنْجَبتِ في يَومِ الخَميس نوابِغَ ... للتَّائِهِين غَدَوْ كَمَـــا الأَعلَامِ

في فُسْحَةِ الزَّهرَاء كُنَّا رِفقَـــةً ... مُستَمسِكِيــنَ مَعًا كَخَيرِ قِوامِ

كُنَّا نُرَدِّدُ في الخِتَامِ دُعَاءَنَـــــا ... خَلفَ المُـــعَلِّمِ حَامِلِ الأنسامِ

نَدعُـــو بـاللهــم إنَّـــك تَعلَــمُ ... أنَّ القُلُوبَ تَجَمَّعَتْ بِسَـــلَامِ

وَثِّق رَوابِطَ عِزِّهَا فـــي ظِلِّــكُم ... والوَعدُ يبقى الودُّ في الإسلامِ

أَنعِم بِه لِشِفـــــاءِ أعــلَالٍ بِنـــا ... فالقَلْبُ يَخفِقُ والفِراقُ لِجامي

يا أرقَمي حُيِّرتُ في أغرَاضِكُم ... مَدحًا وفَخرًا أم هِجَاءُ فِصامِ؟

فَعَلِمــتُ أنْ آنَ الأوانُ لِأنْ أرى ... غَرَضًا جَديدًا خَلِصًا لِمَقــامِي

أنا راحِــلٌ عَنكُم فَرُغمَ صَبَابَتِي ... أَرَ مَجْدَكُم في السَّاعِي المِقدَامِ

وسَأترُكُ الدَمعــاتِ تُوفِي عَهدَنَا ... لَن أتْرُكَ الحُزنَ الأَكِيدَ أَمَامِي

أتعلم ما دار الأرقم؟

ابْحَثْ عن خريجيها الذين ترعرعوا فيها واسألهم، فليس الورق والحبر يكفي شعور أحدنا لو أراد الحديث عن حبيبة القلب، دار الأرقم.

كان أسبوعًا واحدًا فقط، كان كافيًا لأتجول في غَزَّة كلها، مساحتها تعدل مساحة لواء الجامعة ثلاث مرات.

مساجدها ممتلئة طوال الوقت، ومساجدنا تمتلئ في أوقات الصلوات فقط، إن أراد أحد أن يغسل هموم قلبه في المسجد فليس له سوى نصف ساعة لذلك أثناء الصلاة فقط، أما النساء أعانهن الله فعليهن الانتظار ليوم الجمعة، أو شهر رمضان، لأن المساجد مغلقة بقيَّة الوقت! خوفًا من السرقة، فتُهجر المساجد قسرًا، ولو كان بيت الله عامرًا بعبادِه لَمَا سُرِق! ولو أُغلقت الذنوب في وجه روَّادها بَدَلًا من المساجد، لَمَا فكَّر أحد بالسرقة من المسجد، فحَدُّ السَّرِقَةِ ما وقع في زمن رسول الله ﷺ إلَّا مرةً واحدةً لو كنتم تعقلون، وما كانت السرقة خِيارًا واردًا في ذهنِ أحدٍ أصلًا!

۞۞۞

-أُرِيدُ أن أكون معكم.

= معذرةً يا مهيار، لن تكون.

-ولكن أنا...

= مهيار، قَدَّرَ الله أن تُولَدَ فِي الأردن وتَعِيشَ هُنَاك، ولا تزال طالبًا جامعيًا، عندما جاءَنا الأستاذ جَمَال الزّبدة رحمه الله، والزُّويري رحمه الله وغيرهم، جاؤوا بعد أن عرفوا تمامًا عَمَلِهم معنا، وسؤالي لك الآن، لو كنت معنا فما تُرَاك فاعل؟

-وهل بوِسعي سِوى أن أحمل السلاح؟

= بالضبط، أنت مُهيَّأ لتقوم بِدَورك هناك، ولو كنتَ هُنَا فَقَد تَنْحَرِفُ الأوضاعُ إلى مَا لَا يُرضِيك، الأَمْرُ لَا يَتَعَلَّقُ بِعدم رغبَتي بأن تَكُونَ مَعَنَا، ولكنَّنا جميعًا ذوي أهمية كُبْرى في مواقِعِنَا، لا يجوز أن نترُك مَوقِعًا لنُسَانِدَ آخَرَ فتُؤتَى الأُمَّةُ مِنْ قِبَلِنَا دُون وَعيٍ مِنَّا.

-ولكن ألم تسمع ابن المُبارك؟

يا عابدَ الحَرَمينِ لوْ أبصرْتَنـــا ... لَعلمْتَ أنّك في العبادةِ تَلْعبُ

مَنْ كان يَخْضِبُ خدَّهُ بدموعِهِ ... فَنُحُورُنا بِدِمَـــائِنا تَتَخَضَّبُ

أو كان يُتْعِبُ خيلَهُ في باطـلٍ ... فخيولُنا يومَ الصّبِيْحَةِ تَتْعبُ

هذا كتابُ اللهِ ينطِقُ بَيْنَنـــــا ... ليس الشَّهيدُ بميّتٍ لا يُكْذَبُ

فأجاب أحمد:

يَا دَامِعَ العَينَينِ لَو سَانَـــــدتَنَا ... بِالعِلْمِ أَجْـــدَى مِن دِمَاءٍ يُسْكَبُ

إنَّ الشَّهَـــادَةَ رِزقُ الله مِن كَرَمٍ ... والله أَعلَمُ كَيفَ تَمْـــشِ وَتَسْرُبُ

إنَّ الرَّسُـــولَ غَزَا لِأَجلِ دِيَانَةٍ ... والخَـــيرُ مَا يَـــدنُو إليه ويَقْـرُبُ

يا رَاغِـــبًا بِالعَيشِ إنَّ قَبَائِـــلَ ... سَئِمَـــتْ دُنَا والحَقُّ عَنهَا غَائِبُ

قُل لِي فَمَا نَفْعُ الحَيَاةِ إِذَا انْكَوَتْ ... نَفْـسٌ هُنَـــا والخُلْدُ عَنْهَا يُحجَـبُ

حَزِنَ النَّبِيُّ لِـفَقْدِ نَفْسٍ تَكْـــفُـــرُ ... وَبَـــكَـــى بِـــأَنَّ النَّارَ فِيـهِ تَلَهَّبُ

قَد شَرَّعَ الإســـلامُ كُلَّ مَنَافِـــذَ ... لِتَكُونَ أنتَ بِأُمَّةٍ تَتَـــــأَهَّـــبُ

قَلَمٌ وَفِكْرٌ واللِّسَانُ بِصِـــدقِـــهِ ... وَجِهَازُ حَاسُـوبٍ وَعِلمٌ يُرهَـــبُ

لَا تَحقِرَنَّ مِنَ المَواقِـــفِ ذَرَّةً ... فالله عَونُكَ فِي الوَغَى إِذ تَضرِبُ

- ويحك! أتُخَذِّلني عن الجهاد؟؟

= ثكلتك أمك، لو فَقِهت قولي لَما قلت هذا، أتترك جبهتك إلى جبهة غيرك!! أتعقل!! وتظن أن هنا جهاد وهناك تخاذل وكلهن جهاد!! لا تنزل عن جبل الرماة، بربكم احموا ظهورنا!!

- جبهة ماذا يا رجل!! ما من جبهة للدين سوا هنا!

= مهيار، لا تجعلني أفقد صوابي، أنت لا تفهم الكلام الواضح، فكيف إذا جاءك أمرٌ من اللَّاسلكيّ بعد تشفيره.

- حسنًا، ما المطلوب مني الآن؟

لقد وقعت في مشكلة حقيقية الآن، جواز سفري في عمان، ودخولي كان غير قانوني، سيكون الإمساك بي أسهل من شربة الماء، حتى لو استطعت الحصول على جوازي، فلا إثبات فيه على سفري!

ولستُ من أولئك الذين يعرفون التحايل، ولكن لابد من حَلّ، وأحمد سيساعدني على الأرجح.

طلب أحمد من خبير في الحاسوب إرسال رسالة إلى أخي في عمان، فيها أربع أبيات من الشعر:

بأن المهر أوسطهـــا نداء فإن ضاع النداء فذا انقضاء

فلن تسمع لصرخته مداها ولـــن تسمع فقد يغشاه مـاء

ألا بلّغ مغـــا أبلغ شروطًا وأتبـع فـــرّ زد للفرد يـاء

فإن البحر يومًا قد يـموت وفـي العقبات تسحقه المِنـاء

كانت الفكرة أكثر من جنونية، لكن... كان لابد منها، عزمت أمري وأعطاني أخي أحمد ملابس للغطس تساعدني، ولبست فوقها لباسًا مدنيًا.

إنها الأنفاق ثانية، التي دخلتها مرتين، ولا أعلم عنها شيئًا، ولا أعلم مدخلها ومخرجها، عندما وصلت خارج غَزَّة ودَّعني أحمد...

لم يودِّعني فحسب، بل أعني أنه ودَّعَني، كانت ملامح وجهه المقبوضة تحكي أنه وَدَّ لو لم أخض هذا الخطر وحدي...

عجيب؟ ليس كذلك، أسبوع واحد كافٍ لتَعترِيَنَا مشاعر الألم عند الفراق، خاصة إن كان الفراق يعقبه خطر، لماذا؟ لأن المؤمنون أخوة، وكفى به تفسيرًا.

۞۞۞

- حازم، إن كنت تظن أنني سأصدِّق رِوَايَتَك التي سردتها لأمي كي تخرج أيامًا وليالٍ من البيت فأنت واهم، منذ متى تستهويك رحلاتك مع أصحابك إلى الشاطئ، وأنت الذي تتخذ أي أمرٍ ذريعةً لتتهرب من تلك الرحلات؟ قل لي إلى أين أنت ذاهب رجاءً.

= اسمعي، لا يمكنني أن أبوح لك بكل شيء، ولكنني أعلم رجاحة عقلك جيدًا، سأعطيك أبياتًا تُنبئك بذلك، فلا تخبري أحدًا، ولا تُرسلي مددًا، فاكتمي في نفسك السر، وانتظري ما يَسُر.

من الجيد أنهن أربعة أبيات أُشغِلُها بِهِن، والآن... زمن البيت الأول انقضى، نحن في البيت الثاني، أما البيت الثالث فهو مهمتي.

فلو أضفت الفرار إلى المغا صارت مغافر، ولو أفردت الشروط فصارت شرط وأضفت ياءً صارت شرطي.

هذه هو المطلوب، الإبلاغ عن فقدان مهيار.

۞۞۞

= قال إنه ذاهب مع بعض صحبِهِ في رحلة إلى البحر، ولم يَعُد حتى الآن منذ أسبوعين أو أكثر.

- أنتَ تمزح صحيح؟ لو قررنا تتبع الكاميرات في كل الأماكن التي يُحتمل أن يزورها فلن نجني شيئًا، فللكاميرات ذاكرة محدودة، محال أن تتعدى الأسبوع وأنت تحدثني عن أسبوعين!

= أخبرنا بأنه سيخرج شهرًا، وانقطع الاتصال به، ولمَّا كلمت بعض أصحابه قالوا إنّهم لم يَرَوهُ أصلًا ولم يخرجوا معًا كذلك!

- حسنًا، هل ذهب إلى البحر الميت أم العقبة؟

= غالب الظن أنه في البحر الميت، ولكن قد يكون في العقبة.

- فليبدأ البحث في البحر الميت.

خِفْتُ أن ينتشر الخبر، فلو عرف أحد أن مهيار قد تعدى الحدود الفِلَسْطِينِيّة الأُردُنِيَّة، قد لا يعود حيًا، ولكنني اطمأننت عندما رأيت صحفيًا يحاول متابعة الخبر فَنُهِر: "هل تعلم ماذا سيحصل لو انتشر خبر فقدانه ولم نجد جثمانه!! سنُفتضح، ابدأ بنشر الخبر بعد أن نجد طرف خيط القَضِيَّة، قد يكون ذلك الرجل كاذب، ولو انتشر الخبر وثبت الكذب فأنت أول من سيحتمل المسؤولية".

لم أُبالي لقوله، كان عاديًا ولكن الكلمة التي ألَّمَتني هي "جثمانه" يا رب، سَلِّم مهيار، سلِّمه ربي سلِّمه!

۞۞۞

كنت أسير بخطَّة أحمد الميدانية، فبعد أن أحرقت ملابسي المدنية ولبست لباس المستوطن مع سالفين طويلين، اتَّجَهْتُ إلى البحر الميت، كانت خطة البحر الميت هي الأسهل والأسرع، كان لابد أن تنجح فخطة العقبة، قد تستغرق أسابيع وشهور، ولن أستطيع بها صبرًا.

توكَّلت على الله واتجهت مع وُفُودِ السُّيَّاح الصَّهاينة أمشي بينهم، حتى لامس جلدي الماء، بدأت أرى أنوار النجاح الآن، أخذتُ أبتعدُ رويدًا رويدًا، أستعيذ بالله من شرّ ما كان في هذا المكان، ما كان لي أن أنزل في أرض عذاب يا رب، ولكن لا خيار لدي، وأنا كُلِّي في سبيلك، نزعت عني لباس المستوطن وثبَّتُّه تحت صخرة في البحر وبَقِيتُ في ملابس الغطس، لن أغرق في البحر الميت، وهذا قول أحمد، حتى وإن كنت لا أستطيع السباحة، ثم سيُترك الأمر لأخي من بعد الله، ولكني بدأت أتعب، كأني أجد صعوبة في السمع، وبدأت أشعر بالدوار والغثيان، ثم..... لا أعلم.

۞۞۞

أخبروني أنهم وجدوه، لا أعلم كيف، ولا أعلم لِمَ لَمْ أَرَه في اللحظة ذاتها التي وجدوه فيها، قالوا بدقة أكبر وجدوا شابًا فاقدًا للوعي في البحر، وطلبوا مني أن أتعرف إليه.

ولكن هل يُعقل أن الماء جرفته إلى الشرق بسهولة!! رغم عدم قدرته على السباحة، وعدم احتماله الضغطَ في هذه المنطقة، كيف وجدوه؟!!!

ذهبتُ إلى المشفى والقلق يعتريني، هل يُعقل أن يكون مُتَأذيًا من أحد!

وصلت.... رأيته... سليمًا، معافًا، الحمد لله، كانت دقائق قبل استفاقته، أمضيتها أتأمل بملامح وجهه كالمُكذِّب بحقيقة عودته، فلما استفاق تبسّم، وقال: كنت أعلم أنك لن تنساني، ولو نَسِيَنِي العالم بأسره.

عانقته وأنا الغريق بأدمعي غَلَبت بكثرتها سيول الماءِ

لأشمّه وأراه ثم أضمـــــه وليطمئن القلب بعد لقـــاءِ

= الحمد لله على استقرار حالتك، وخروجك المُباشر من المشفى، والله يا أخي تختلج الأسئلة في صدري، ولكني أخاف أن أُنهكك فوق تعبك، سنصل قريبًا يا قرة عين أخيك، وسآتيك غدًا بإذن الواحد الأحد.

- ألن تشرب الشاي حتى؟

= سأشرب الشاي غدا....

تلك مكالمة من هناء: حازم، ذهبت لتقابل مهيار؟

= ههه، قلت لك من قبل إنّي أُعَوِّلُ على عقلك.

هناء: لا يمكن هذا!!! وأنا أُرِيدُ أن أراه.

= سنراه غدًا، اصبِري.

تبسم مهيار، كأني لمحت في عينَيْه عَبَرات، ثم التفت إلي قائلًا: ألن تَرَ ردة فعل أمي إذا رأتني؟

= بصراحة، الأصل أن أُهيّأها قبل أن تراك، قد تضرها هذه المفاجأة بعد انقطاعٍ ظننتك فيه ميتًا، ابقَ هنا، سأُسلم عليها وأخبرها أولًا.

۞۞۞

كان لقاءً عجيبًا لعائلتي، أجلس جوار أمي التي ما فتِئتْ تحمد الله، وأعددتُ الشاي تأهُّبًا كما وعدت حازم، سيأتي حازم وهناء وأمُّهما، أعني زوجة أبي، ليطمئنوا عليّ، الحمد لله الذي جمعني بهم أخيرًا.

في جلسة مؤنسة، تحدَّث كل منا عن أيامه الماضية، ويصف ما جرى له فيها، وما أجرى هو في جريانها، ولكن السؤال المفاجئ كان من هناء عندما قالت لي فجأة: ما رأيك أن نُسميك أبا أرسلان؟؟

لم أفهم ما كانت تريده بالضبط، لكن حازم سبقني وأجابها: لا لا يمكن، مهيار اسم فارسي الأصل وأرسلان تركي الأصل، هل خَلِيَت العربية من الأسماء لنلجأ إلى غيرها!!

فأجبتُه: بالضبط يا حازم، هذا أكثر سبب مقنع ليكون اسمي أبا أرسلان، ليعلم كل من يعرفني أن الشاعر مهيار ربيب العربية وعاشقها ذا اسم فارسي وكنية تركية، لأن وحدتنا في دين الله، وما تصنع العروبة إن استمسكت بعروتها وتنصلت من عروة وثقى في جلال الله؟؟

جميل يا هناء، نادني أبا أرسلان.

۞۞۞

على أحد المقاعد أجلس مع سمر، أشكو ما في نفسي من شِجار كان بين أم الهيثم وأم بديع.

= ولكن يا أسماء، لقد رأيتِ بأمِ عينِكِ أنَّ الغالِبَ منا مملوء بالخير، هذا لو افترضنا السوء في أم بديع!!

-لِمَ لا يفهمون أن الأمن بيد الله، وأننا نعيش لله، وأننا لله راجعون؟

= لا يمكنك معاملة الناس حسب فهمك أنت.

-إذن فسري لي ظاهرة إلحاد صاحب شهادات عُليا، وإيمان آخر أُمِّي! ما كان العلم يومًا مقياسًا لفهم الدين والإيمان به، إنما العلم أداة كسائر الأدوات خيرها ما قرّب إلى الله وشرها ما أبعد عنه.

= قلتُ الفهم ولم أقل العلم!

-ماذا تقصدين؟

= يمكن للكل أن يتعلم أو لا يتعلم، ولكن الذي يفهم نَفسه ويعرف ربه ويفقه عَيشه قليل.

= إذن نصنع مركزًا لمحو الأُميَّة الفَهْمِيَّة.

علا صوت سمر تنادي جُمان: جمان تَعالي واسمعي قول صاحبتك، تريد أن تجعل كل الناس مَشايخ وأئمة.

جمان: وما مشكلتكِ مع ما تريد؟ هذا شيء يُحسب لها. يا لجمال حظك يا أسماء، يا لنقاء قلبك إذ شابهتِ رسول الله ﷺ ألم تسمعي قول الله لنبيه {لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ }؟

لا ينال أكثر الناس هذا...

سورة الشعراء، من أكثر السور التي أحفظها بإتقان، شعرت أني لن أتمالك نفسي، رغبة شديدة في البكاء، كأني أسمعها الآن أول مرة، أن يُجرِيَ اللهُ ذلك الكلامَ الطيبَ على لسانها لأطمئن أني أشابه رسول الله ﷺ ولو في سبب الحزن فقط، هنا يَقْشَعِرُّ جسدي بشعور ليس يدانيه في الشبه شعور.

يبدو أن بعض العَبَراتِ خانتني، وهذا صيد رائع بالنسبة لسمر لتبدأ فقرتها المفضَّلة في السخرية والاستهزاء، أسمع دائمًا أن الصديق يمسح دمع صديقه، ولكن صحبتي مع سمر لم تسمح لي برؤية ذلك، مُواساتها سخرية، فإن لم أضحك على استهزائها ستحزن وتطلب مني الاعتذار عن نفسيَّتِها التي تعبت لأنني "نفسية"، أمور غريبة لن يَفْهَمْهَا إلا من كان له صديق كَسمر.

لابد أن أكسب الموقف، كانت مع جمان فتاة أخرى، تبدو أصغر منا سِنًا، نظرت إليها أبتسم وأحاول بدأ موضوع للنقاش يُسكت سمر: يبدو أنك في السنة الأولى، صحيح؟

= أجل.

- وما تخصصك؟

= الإرشاد والصحة النفسية.

- أهلًا وسهلًا بك بيننا.

= هل لي بسؤال؟

- تفضلي؟

= ما كان سباب الشجار؟

- لا ليس هذا أرجوك، أنت تغذين نقَّار الرؤوس القابع في عقل سمر!!

شَهِقَت سمر شهقة قوية، ذكرتني بفريال خانوم وإم زكي، ثم أتبعت قائلة: نعم نعم يا روح قلبي (وفي رواية: ألبي) أناااااا في عقلي نقار رؤوس، مااااااااشي، ستعلمين يومًا ما، نعمةَ الله عليك التي لا تقدِّرينها.

وقامت عن الكرسي بغضب ثمَّ التَفَّت وجَلَسَت على يَمِينِي، نظرت إليها بتَعَجُّبٍ، فقالت: عساه خيرًا!! اختَصَمْت مع نِصفِك الأَيسَر، أما الأيْمَن فلازِلنا أصدقاء.

-لا حول ولا قوة إلا بالله.... المهم، سبب الشِّجَارِ كان استِيَائي من إلقاءِ كُلِّ فَردٍ هَمَّ الأُمَّة عن كَاهِلِه بِأَنَّه لا يَقوَى على ذلك وحيدًا، وذَكَرتُ موقفًا لِنِسَاء حَارَتِنَا عندما اجتَمَعنَ عِنْدَنَا وتَشَاجَرنَ وَتَلَاسَنَّ، كان أمرًا مُزعجًا.

تَبَسَّمت الفتاة وقالت: معك حق، ولكن مع تأييدي لقول جمان في بداية الأمر، لِمَ لا نجرِّبُ وضع الأمور في نِصَابِها؟ أَعنِي، لنُحلِّل المَشهَدَ سَويًا، كَم سيِّدةً أعجبكِ ردُّ فِعلِها مُنذ البداية؟

- تقريبًا اثنتان.

= جميل، وكَم سيِّدةً خَلُصَت الجَلسة إلى حسن صنيعِها؟

- مُعظَمُهُن.

= وكَم سيِّدةً أحزنتك بفعلها.

- اثنتان أو ثلاث.

= جميل، فأمَّا اللَّاتِي أحسنَّ صنعًا من البداية، فهؤلاء هم القادة، والقادة في كل زمان ومكان قليل، وأمَّا اللَّاتِي استَجَبْنَ، فهنَّ الجنود، وأمَّا اللَّاتِي لَمْ يَستَجِبن فهُنَّ من جُملَةِ المُخَذِّلِين، إنْ كَانَت مُشكِلَتُك مع الجنود فهذا حال الناس، وإنْ كَانَت مُشكِلَتُك مع المُخَذِّلِين فهُمْ والله قليل!

-صحيح، ولكنّ المُشكِلَةَ لو انحاز أكثر الجنود إلى التَّخْذِيل أو التضليل، عندها لن تقوم للحق قائمة!

تَبَسَّمَت الفتاةُ وأخرجت من جيبها صورة عليها آثار القِدَم، كُتب فيها "الأقصى كل السور" مع صورة للمسجد الأقصى كاملًا، وقالت: منذ زمن ليس ببعيد، كان الناس منقسمين بين صورتين: صورة لقبة الصخرة، وصورة للمسجد القِبْلِي، وكل فريق يظن أن هذه صورة المسجد الأقصى، إلى أنْ ظهر شخص مجهول، لا أعلم من هو، خرج بفكرة نشر الوعي بأن الأقصى كل السور، ووُزِّعت علينا هذه الأوراق، في المدارس والمراكز والجامعات، إلى أن انتشرت الفكرة، أنَّ الأقصى كل السور، هل احتاج هذا العمل الكبير أكثر من شخص؟؟

كان شخصًا واحدًا، ولو ذهبنا لقدوتنا وحبيبنا، هل بدأ الإسلام بغيره؟ كان كل المسلمين نبينا وزوجته وأبو بكر وعلي، واليوم نرى ألفَ ألفِ ألفيّ مسلم أو يزيدون، الفكرة لا تنتشر بقوة حامِلِها، بل حامل الفكرة يستمدُّ القوة من فكرته، والله هو القوي المتين.

أهمُّ ما في الأمر أن يعمل الإنسان لله، لله فقط، فالنتائج أضخم من أن يستوعبها عقل إنسان قاصر، حتى لو ظنَّ صاحب الحقِّ أنه وحيدٌ، ولو ظنَّ أهل الباطل أنهم في ساحات الدنيا كُثُر، إنَّ ألفَ ألفِ ذرةَ غبارٍ لن

تُبَخِّرَ ذرة ماء، وأكثر ما قد تصنعه أن تصطبغ ذرة الماء فتظن أنها انتصرت وهي في الواقع قد هَوَت، حُبِست، لا تستطيع إلى غير هذه الذرة سبيلًا.

ويحدث أنْ يقِفَ الواحد أمام جيش أصفار، فينتصر، ويهزِمُهم شرَّ هزِيمَة، ولو أن الأصفار تَعَقَّلوا وجعلوا الواحد في مُقدِّمَتِهِم، لصارت قيمتهم أكبر من أن يقدّرها ذو عقل! ولن يكون الصفر واحدًا ولو كان معه ألفَ صفر، ولا يكون الواحد واحدًا إلا بإذن الواحد القهار.

-صدقتِ، سأُسمي ابني أرسلان، ليكون مثل ألب أرسلان، يلبس كفنه ويحمل سلاحه ويمضي، لا يضره عدو، ولا يُخذّله جبان، وليعلم العالم المُتزلزل أن البطل يولد لحظة وعي أمه.

صمت الجميع لبرهة ثم قامت أسماء قائلة: عن إذنِكنَّ، ستبدأ محاضرتي بعد عشْرِ دقائق، وداعًا سمر، وداعًا جمان، وداعًا..... لم تُخبريني باسمك!

=هناء، اسمي هناء.

أكانت تعلم أسماء أن في لحظة وعي أم، تُولد أُمَّةٌ؟

بَنَيتُ مع أَسمَاء أوَّل مُؤسَّسة أُهْدِيهَا لِأُمَّتِي بنجاح بإذن الله، ثمّ المُؤسَّسة الأكبر، وليدة مُؤسَّستنا الصغرى، قد أقسَمتُ أن أخدِم ديني في مجال الحاسوب ما استطعت، وجمعت شبابًا من خِيرة الشباب فريقًا لهذا الثغر.

وكانت سعادتي لما وجدت أخي حازم يتعامل مع طِبّه بالشكل ذاته بل أفضلَ منه، في حين عكفت هناء رضي الله عنها على نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة وتقف على ثغور الوعي والنفس الإنسانية السوية، أما أسماء فقد عَكَفت على تحسين عقيدة المعلِّمين بعلاقاتها الواسعة وقدرتها على التعامل مع شرائح الناس المختلفة، ولم تَنسَ أرسلان طبعًا.

وصاحبي ورفيق عمري وطفولتي المهندس هشام الذي درس الهندسة المعمارية، اقتنع أخيرًا بفكرة السفر إلى غَزَّة بعد أن ينتهي من إعداد مخططات الإعمار المقترحة لِتَسلَمَ غَزَّة من الحرب بأقل الأضرار المُمْكنة، لكن مشكلة هشام أنه سيحتفظ بمخططاته إلى ما شاء الله له ذلك، اعذرني يا هشام، لقد تأخرت، سيبدأ الطوفان، ولكن لا تقلق لا يزال الركب مفتوحًا لِمن أرد، فاركب معنا قبل أن يحول الموج بيننا!

نحن الذين حشدنا الحُشود، يوم وَقْفَتِنا أمام سفارة الاحتلال، لَمْ نَكُنْ من الهَمَج المشاغبين، كنَّا أصحاب حق، قد جاهدنا كثيرًا من قبل في مواجهة

اتفاقيات التطبيع مع الانحلال الأخلاقي تحت عنوان "الثقافة"، ولبئس الثقافة تلك.

هي عدوى، أسرع من عدوى كورونا، تَقَمَّصْ الأعراض ولن أقسم لك أن المجتمع من بعد تقمصك سيستقيم.

والآن هل درست التزكية والعقيدة والعلم الشرعي؟

هل درست فقه الجهاد في الإسلام ودوافعه وغيرها؟

هل فكَّرت في حاجة أمَّتك في تخصصك بدلًا من الوظائف الذي تجري خلفها بلا طائل، وقد علمت أن الله يرزق من يشاء بغير حساب؟؟

فإن أجبت فقد اطمأن فؤادنا، وإن لمْ، فعجّل يا رعاك الله، فالموج يكاد يحول بيننا، والشمس لا تنتظر المُصَلِّين لتُشرق، بل تُشرق بأمر رَبِّها، وحينئذ صلَّى الله من صلَّى، وعزاؤنا لِمَن فاته الفجر.

التقيتُ بصديق لي أثق بأخلاقه، كان قد استطاع اختراق نظام أحد البنوك - لم يُسمِّه لي- من باب التسلية فقط! ثم أرسل للبنك رسالة مفادها: إن أمن نظامكم البنكي ضعيف، وفيه من الثغور كَيتَ وكَيت.

لَمْ أَكُنْ أُدانيه في الاختراق والبرمجة، بل كان يفوقني بمراحل، لكنه أبى! أبى أن يكون جزءًا من المُقَاوَمَة، أعطاني لائحة من الأسباب، قد تكون مُقْنِعَة، وقد لا تكون، في الحقيقة لم أسمعه، لَمْ أستَطِع التركيز في كلامه وعقلي مشغولٌ بالشَّفَقَة عليه، تُرَى هل ستقول هذا إذا وقفت أمام من يعلم السرَّ وأخفى؟

لا أُشَكِّكُ في نيَّتِه، ليس سهلًا أن تضبط نفسك أمام أموالٍ طائلة مخافة لله مع قدرتك عليها، ولكنِّي لنْ أُصَدِّقَ أيَّ شخص يحاول إقناعي بأن أولئك الذين وضع الله فيهم القدرة على الجهاد الرَّقمي كلهم لا يستطيعون إلى الجهاد في قدراتهم سبيلًا!

أصدِّق الله ربي الذي قال "لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها" فالذي كلفك بهذا الجهاد أعلم بك مني، فقل لي بربك ماذا فعلت بنفسك!!

وماذا ستقول لرسول الله ﷺ إن قال لك عند الحوض سحقًا سحقًا وبُعدًا بُعدًا، ماذا ستقول؟

هداك الله وأصلح بالك يا صاحبي، لستُ أُسيء الظن بك، ولكني خائف عليك، فلو عَلِمتَ أن الله لن يُؤاخذك بما أعطاك فلن أَنبِس بِبِنْتِ شِفَةٍ، ولكنَّه معروفٌ آمُرُك به يا صاحبي!

هداك الله وأصلح بالك يا صاحبي!

لمَّا أُغلِقت أبواب المدارس في وجهي عَلِمت أن الله قد جهَّزني لشيء آخر، كان انحسار حُلمي منذ طفولتي مؤلمًا جدًا، ولكن قدَّر الله وما شاء فعل، وإنّا لله وإنا إليه راجعون.

كان هدفي واضحًا، يتلخص بـ "لماذا وكيف؟" بدأت بخطوة صغيرة جدًا، منشورات عبر مِنَصَّة فيسبُك، مُستغلَّةً وجود العديد من المعلمين لدي، كانت تلك حدودي لكنَّها بإذن الله ستتوسع.

من المنشورات التي كَتبْتُها يومًا:

"لو قال لك تلميذك يومًا: في هذا العصر يمكننا الاستغناء بالذكاء الاصطناعي عن المعلم، بل يمكننا أن نقضي أوقاتًا أكثر رفاهية، لأننا نستطيع أن نحصل على المعلومة خلال دقائق عبر الشابكة، فبِمَ ستُجيبه؟"

ستكون جاهزيتي للطوفان أبطأ ولكنها أعمق، سبحان من جعل الجهاد للرجال والتربية للنساء!

فالرجال أكثر إقبالًا، والنساء أكثر حذرًا، وكل صفة تتناسب مع الوظيفة التي أسندها الله إليه.

أرسلان مشروعي، وطُلاب القرآن، ونشر الوعي بين المعلمين، إلى أن أكون جاهزة للطوفان...

۞۞۞

اقترب الطوفان، ولست أجد مكانًا لي بين صَفْوَف المسلمين، جهادُ النفس، ليس متاحًا لي، جهاد المال؟ لم أُنهِ سداد ديوني حتى اللحظة، جهاد الكلمة؟ هو ذاك...

لطالما آمنت أن شرح المنهج مهم، لأستطيع الموت دونه بسلام، لذلك كتبت لمن بَعدي:

حَرفٌ مُنصَّلةٌ بِقَصدِ قَصَائِـــدِ ... مِن فَضْلِ قَولِ المَرءِ إنْ لَم يَقصِدِ

إنَّ النِّبَال هِي الأَشَدُّ بِوَقعِـــهَا ... بَعـــدَ القَصِيدِ وَهَاكَ قَولُ مُحَمَّدِ

صَلّى عَلَيهِ اللهُ مَا خَـــطّت يَدٌ ... حَـــرفًا يَفُـــوقُ وَلِيدَ قَابِ أَمجَدِ

هَذَا نَشِيدٌ ذَاعَ لابـنِ رَوَاحَـــة ... يَعلُو بِصَـــوتِ الحَقّ لَم يَتَرَدَّدِ

وَرَسُولُنَا سَمِعَ المَقَالَةَ كُـلّهَـا ... فَاعلَـــم شَهَادَتَـــهُ إذَا لَـــمْ تَشهَدِ

لَكَلَامُ عبدِ الله فَاقَ نِبَـــالَـنَـــا ... في وَقعِهِ إزهَاقُ نَفْسِ الـمُعتَدِي

فالزَم ثِغَارَ الشِّعـرِ إذ نَلْقَى بِهِ ... نَصرَ الإلـه وذَاكَ قَـــولُ مُحَمَّدِ

إنْ كَانَ شَاعِرُنَـــا يَهِيمُ وَيَنطِقُ ... بِخِلَافِ أَفْعَالٍ سَيُغْوِي الـمُقْتَدِي

حَتَّى وَإن يَكتُبْ شُعُورًا صَادِقًا ... إنْ كَانَ لَغوًا رُدَّ حَتَّـــى يَهْتَدِي

الشِّعرُ سَهمٌ مِنْ بَيَـــانٍ سَاحِرٌ ... يُرمَى فَيَسبِقُ كُلَّ نَبْلٍ أَجْـــوَدِ

طبعًا لابد لصاحب الكلمة أن يكون صاحب فِكر، ولابد لصاحب الفكر أن يكون صاحب معلومة، ونصف الحرب أن تعرف عدوَّك أكثر من معرفتك لنفسك.

ما كان يربط الأحداث في ذهني واتضحت به الصورة، أن الجبهات في كل التاريخ ما كانت إلا جبهتين، جبهة الحق وجبهة الباطل، جبهة الإيمان وجبهة الكفر، جبهة التوحيد وجبهة الشرك، جبهة الإصلاح وجبهة الإفساد، هذه سُنة الله في خلقه عبر التاريخ، ولن يستطيع أحد تغييرها، كل ما بوِسع الإنسان أن يختار جبهته الخاصة.

أهل الباطل بعضهم أولياء بعض، وقد حدثنا الله عن ذلك كثيرًا في كتابه الكريم، سمَّاهم حزب الشيطان، فكانوا أعوانه وأولياءه، لأنه قائدهم وهم تَبَعُه، فالذين آمنوا يُقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت.

وضَّحَ الله لنا سرائر أهل الباطل التي عجزنا عن تفسير ما يفيض منها، لمّا حالت فطرتنا السليمة بيننا وبين ذلك.

حزب الشيطان من الإنس يقاتلون المجاهدين، وحزبه من الجن يُراهنون على تركك لدينك، بل بعضنا قد تكفل إبليس شخصيًا بإغوائه! ألَمْ تَرَ أن النفوس تصَفْوَ إذا رأت هلال رمضان إلى مطلع شوَّال؟

إن كان أهل غَزَّة يقاتلون أتباع الشيطان هناك، فنحن نقاتل إبليس شخصيًا!!

أعتقد أنني بدأت أفهم السبب الذي دعا أحمد لإرجاعي إلى الأردن، لدينا هُنا مُجاهدين كُثر، لا عُدة لهم ولا عتاد، وليس لديهم من القوة سوى أنهم يحبون الله ورسوله...

عكفت أقرأ وأشاهد ما يزيدني عن العدو علمًا، لأعلم مداخله، لَمْ أَكُنْ أعلم أن هذا كان أسلوب إبليس عندما بحث عن مواضع الضعف في سيدنا آدم عليه السلام.

والله أطلعنا على مواضع ضعف إبليس! إنه ليس له علينا سلطان! وإن كيده ضعيف!

قناة أحمد السيد، ود. إياد القُنيبي وقناة دعوة إسلامية وقناة د.هيثم طلعت ود. أديب الصانع، كانوا رفقة الطُرُقات في سيارتي، وكتاب شُبهة وشهوة وحكومة العالم الخفية وكُتب الأديان المُختلفة والترياق كانوا رفقة كأس القهوة قبل العمل صباحًا، ومُسلسلات عديدة لقناة السراج التي كانت تُبهرني بالتقدم الفني المُستمر رغم قلة الإمكانات، كانت ترويحتي عن نفسي مع أسماء وأرسلان مساءً؛ "قبضة الأحرار، بوابة السماء، الفدائي" هذه إجابتي لو سألني أحدهم عن كيفية دمج التسلية والثقافة والوعي.

كان القرآن أنيس رِبَاطي، لَمْ يَكُنْ رِبَاط الحدود، كان رِبَاط الصلاة، ألم تسمع قول رسول الله ﷺ:"وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرِّبَاط"، لم أقهر به صهيونيًا، قهرت به وليَّهم إبليس، الذي يَعِدُهُم ويُمَنِّيهِم وما يَعِدُهُم الشيطان إلا غرورًا.

وصلت لهذا الوعي بعد حُلُم رأيته، إذ رأيت فيما يرى النائم أنني مع أهلي في الضِّفَّة، وقد تجهَّزت بلباس الحرب أنتظر الإشارة، فلما بدأت الحرب ذهبت إلى غَزَّة ركضًا، فخاف بني صهيون ووضعوا أمامي الحواجز، التي ما ظَنَنْت أنها مانعتُني عن غايتي، فإذا بالشيطان يقول لهم: أُرِيدُكم أن تُرَكِّزُوا في الحرب، وأنا سأتولى أمر مهيار.

لم أعلم أكانت تلك رؤية أم حديث نفس، ولكن ما يهمني أنني استيقظت على عدو ما كنت مُنتبهًا لوجوده!

هذه ليست ذرائع أختلقها تخذِّلني وتجعل لي في الخيانة عُذرًا، فلو فهمتُ سواء السبيل فنهاية الطريق انتصار، ولو جاهدتُ بطَيشٍ فالخوف أن أفرَّ يوم الزحف، ألم تتساءل يومًا عن سبب القوة في طلب الجهاد وفتح الحدود؟ لِمَ لا يُوسوس الشيطان للثَّائرين بالقعود؟

يؤسفني أن أقول: "لِمعرفته بأن فؤاد الثائر هواء، ولن يصمد، سيفرّ، أو يُسَلِّم نَفسَه، أو يعود فيخذِّل غيره، أو ينشر ظن السوء بالله بين المؤمنين، فيكون الثائر مُعينًا لعدوه دون قصد منه!

هو الوعي، أن أنشر الوعي..

ومنه تذكير صَحبي، وحازم بما هم مُقبلين عليه، لابد أن يعلم الطبيب حازم إلى أين هو ذاهب، وكيف يكون عونًا للحق، لا عبئًا عليه بالجهل.

أظُنُّنِي أصبحت جاهزًا للطوفان...

سأكتب مذكَّرَاتي في الطوفان...

الربيع الأول

كان يوم السبت، عندما فتحت هاتفي بعد صلاة الفجر فرأيت بطلًا يحمل جناحيه على ظهره ويهبط في أرضه، ويقتل عدوَّه، ويُرعب جنوده.

وبطلًا يعتلي صهوة دراجته، يكاد من سرعته وإقباله أن يطير إلى خالقه، عندما استُشهد كان جسده مُلقًا أمام دَرَّاجَتِه، كأنَّ سرعة الدَّرَّاجَة ما كانت تكفيه، وسرعة جسده أقل من مُرَادِه، ففاضت روحه تسبقُهما إلى الجنان بإذن الله، ولا نزكي على الله أحدًا.

وأبطال الظلِّ أشْبَعُوا المَيَادِينَ أسرًا، وأثلج إخوانُهم الصدور نحرًا، وتلك المواقف التي لا تغيب عن بالي من قُمْرَاتِ المجاهدين تأسرني، وأصواتٌ كأوتارٍ ترن الآن في أذني.

ذلك الشهيد الذي دخل الغلاف برجله، وقال لصاحبه: "إيش الدخنة هان"، وأصيب بطلقة غادرة في صدره، صرخ ألمًا وقاطع صُراخه يلفظ الشهادة بسرعة، كأنه خاف أن يموت قبل نُطقِها، أهٍ يا أخي، تقبَّلك الله، والله إني قد شعرت بالرصاصة تجول في صدري أنا، تُألِّم قَلبِي أنا، صوتُ صرختك التي عَلَتْهَا الشهادة لا يغيب عن مسمعي.

والأبطال الذين أبادوا قَاتِلِي إخواننا، وماذا كان العدو ينتظر مثلًا؟؟ هو الذي زرع الحقد في قلوبنا، هو الذي سقى الكره في أعماقنا، وما كان منا إلَّا أن جُدْنَا لمَّا سَمِعْنَا الإذن من ربنا بالانتقام منه.

يدوس المجاهدون على رؤوس جنودهم، ويضربون جثمانهم، ولكن لحظة! هذا الفعل ليس منَّا، لأسمع مجاهدًا بينهم يقول:" دَعُووه لقد مات، دعوه، حرام، اتركوه". فاطمأننت أن الإنسان خطَّاء والصحبُ على الحق مِعوان، وأمة رسول الله ﷺ ليست تجتمع على ضلالة.

صور الدَّمار لدى الاحتلال تُنعش الفؤاد، الحمد لله الذي أحياني ليوم نرى فيه النار فوق رُؤوس ظالمينا، يافا التي طمسوا وجهها لتصير "تل أبيب"، أصبحت تحت صواريخ رجالنا، تلك الصواريخ الجميلة تنطلق من غَزَّة إلى أراضينا المحتلة كالنجوم التي تُزين السماء وترجُمُ الشَّياطِين، يُعلَمُ بها عَدَدُ سِنِين الحِصَار، وأنه حَان وَقتُ الحِساب.

الطفل في غَزَّة فوق سطح المنزل يتأمَّل أوضَاعَ بِلَادِه، يحْمِلُ أمَّتَه بَين ثَنَايَا أحلَامِه، ووُزَرَاء الكيان المخروم يرتجفون في الملاجئ.

سَيْطَرَ الأبطال على قاعدة رعيم العسكريَّة مقرُّ قِيَادة فِرقَة غَزَّة، وقتلوا فرقة غَزَّة بالكامل، ثم عادوا أدراجهم سالمين.

ترى جنودهم مُبعثرين بلا رؤوس ولا أصابع، مشهد يعيدنا إلى بدر عندما كان الصحابة يعلمون أن قاتل المشرك من الملائكة، عندما يَرَوْنَ الرأس مقطوع والأصابع زيادة.

كيانٌ هشٌ، يُسْرِعُ في نَقلِ دبَّابَاتِه وطَائِرَاتِه إلى أماكن آمنةٍ خوفًا من استيلاء جماعة مسلحة عليها -على حد تعبيرهم-، أيُ دولة يُمرَّغُ أنفُها بسبب جماعة مسلحة؟! هم يعترفون بأفواههم أنهم لم ولن يَرقَوا لِمستوى الدولة.

في هذا المساء يهدم الاحتلال مقرَّ شرطة سديروت بيده، بسبب فشله في دخوله وتحصُّنِ أحد رجالنا فيه منذ الصباح، لا أعلم لِمَ يستمر هؤلاء، نُقَاتِلُكُم منْذُ سبعين عامًا، ولن نتراجع، أَمَا آنَ أنْ تفهموا ألَّا مكان لكم هنا!!

أخبار تجعل الإنسان طيِّب النَّفس سعيدًا وربي، ولكن السؤال الذي اعتادته نفسي مني، ما دوري الآن؟ قد كانت الإجابة في خبر استشهاد **مُعين مُعَمَّر**، أحد طلاب الشيخ أحمد ياسين، وأحد أبطال العبور المقدس، فإن كنتُ أرى الشلل في حياتي، وجسدي سليم، فالشيخ أحمد ياسين كان سليم الحياة، مشلول الجسد!

تجهَّزت في الصُّبح، سأُنهي كلَّ ما عليَّ، لأنطلق إلى المسيرة الشعبية للتَّظاهر أمام سفارة العدو، فإذا بخطاب أبي عبيدة...

وتلك دعوة من الملثم للانخراط في هذه العملية الكبرى، التي ستمنحنا بعون الله حق الصلاة في المسجد الأقصى، فوجب علينا تلبية النداء.

۞۞۞

وصل رجالُنا إلى مستوطنات جنوب عسقلان، دمَّروا بنيانهم فوق الأرض المسروقة، الحمد لله، أَجْهَزُوا على الأجهزة الاستخباراتية، وزلزلوا أمنهم السيبراني، والسودان تتوعد بإعادة الصهاينة إلى العصر الحجري.

أتأمل الخريطة التي تُبيِّن الأراضي المُحرَّرَة، ومواقع الاشتباك التي تقترب من الخليل، كم من الوقت يفصل بيننا وبين بلادنا يا ترى؟ وكيف نكون جزءًا من هذا النصر المبين؟

المطارات الإسرائيلية مُمتلئة، المستوطنون يتصارعون لِنَيْلِ تذكرة طائرة، أصحابي الذين يسافرون كثيرًا بسبب ظروف عملهم يصَفْوَن الازدحام في المطارات الذي تسبب به المستوطنون بعد فرارهم، فالتهجير بالتهجير، ذوقوا ما أذقتمونا أيها الأوغاد.

الكوماندوز البحري يرعب كل مستوطن استحل الجلوس على شواطئنا الطاهرة، زَلزِلُوهم يا رجالنا، يقتحمون الغلاف، ولا يَمَسُّونَ امرأة ولا طفلًا بسوء، لا ينتظرون ثناء العالم المنافق، إنما يُنَفِّذون وصية رسول الله ﷺ وحسب، يُؤمِّنون المَدَنِيِّين من العدو رغم طغيانهم، ويطلب أحدُهم من صاحبة البيت أكل موزة رغم هيبة الموقف في نظرها.

وإن أَرَدتَ أن تُمَتِّعَ ناظِريك، فشاهد رجوم رجالنا وتأمَّل منظومة مُتبِّر المضادة للطائرات.

انتصارات تعقُبُها انتصارات يُسَطِّرُهَا أبطالنا في الميدان، ويخاف أحدُنا أن ينام ليلًا، أن يُراوِدَه شُعُور الفرار من الزَّحف، ما كُنَّا بأجسادنا، ولكنَّهم والله امتزجوا بعقولنا وقلوبنا.

الاحتلال الجبان يردُّ على فشله المتكرر بقصف بيوت المدنيين قصفًا همجيًا عشوائيًا، لا يُحقِّق فيه من الأهداف العسكرية شيئًا، وهذا يعيه أصغر أطفالنا، وما نرى في قاداتهم خجلًا يُواري فشلهم الذريع المكشوف على رؤوس الأشهاد، يتصرَّف بهمجية كوحوش البرِّية، ولكن إذا حضر الأسد، ما بقي من السِّباع أحد.

المهم أن وقفاتِنا لاتزال مُستَمِرَّة، وهي رُوتِين بَدَهِيٌّ بالنِّسبَة لِي، مُحال أن أتخلَّفَ عنها، هي جهادي هنا، ولا أجد جهادًا آخر.

فرُغمَ التزامي الصلواتِ في المسجد من بعد الطوفان، إلا أني لم أَرَ ذلك جهادًا، كان عملًا سهلًا عليّ، ولم أَرَه ضمن قائمة الجهاد لدي.

۞۞۞

يرتكبون مجازرَ بحقِّ أهلنا، نرد بصواريخنا، يقطعون عنا ضرورات حياتنا، نُلهب خزَّانَات الغاز في عسقلان التي سرقوها منا، لن نقبل إلا بمشهد جنودكم ينبطحون بكل عتادهم خوفًا من نيراننا، ولن تَرَوا منا سوى الشُّموخ من صغيرنا قبل كبيرنا، ليس لكم عقيدة كعقيدتنا، إنما شعارنا:

"ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون".

الأخبار تنهال عليَّ من كل صَوْب كما تنهال الرُّجوم على العدو، والقسَّام من كل حدب ينْسِلُون مُجاهدين، لم أَعُد أستطيع مجاراة كل ما يُنشر، الأخبار كثيرة، وتُوقِعُنِي بِتَقَلُّبَاتٍ شُعُورِيَّةٍ مُفَاجِئَةٍ، أفرح لانتصارٍ وأبكي لمشهد طفل يبكي في الدقيقة ذاتها، الأمر بدأ يُنْهِكُنِي، أخاف أن أُتَابِعَ الأخبار السيئة فأُحبَط، أو أُتابع الجيِّدَة فأشعُرُ بالخِيَانَة، أو أُتَابِعهُما معًا فأُنهَكُ بلا جدوى، فلن تستفيد الأمة من إنهاكي في بيتي، ولكن القرار، أن أتابع كل شيء.

كما توقَّعت تمامًا، بدأتُ أشعرُ بالإنهاك دون جهد مبذول، كأنني عبء زائد على أحمال الأمة، ماذا صَنَعَت الأمة بحُزنِي، ثم ماذا؟ هل سأبقى بهذا الموقع المُتَخَاذِل، نُطَالِب بفتح الحدود، ولا مُجِيب، والله لو انخرطتُ في الحرب بنفسي لكان أسهل علي من هذا التعب، تعب نفسيٌّ ومُحاولات عقيمة، ثم لومٌ للذات بسبب خذلانِها، لا يمكنني الانضمام إلى المجاهدين

الآن، ينقصني الكثير من التدريب، ولَمْ أَكُنْ أجد في الأردن مكانًا أتدرب فيه على السلاح، حتى الخدمة العسكرية قد أُلغيت هنا.

ثم بلحظة أشعر بسخافتي، الناس تتجرع الموت والجوع والخوف والنقص والتشريد كل يوم، وأنا منهمك في حربي السخيفة حول ما أُتابع، وكم أتابع!!

"والله محنا منهزين"، ماذا رأيت أنا من الوجع لأهتز؟ أعاتب نفسي على حزني فأزداد حزنًا، عَدَّاد الشهداء يزداد والغُمَّة في قلبي كذلك، هل أترك متابعة الأخبار؟ ما عاد قلبي يحتمل، أهٍ يا أحمد، ليتك لم تجبرني على العودة، ولكن لعله قَدَرُ الله لأجل أرسلان.

انتشر خبر دخول الدبابات داخل غَزَّة، مُحال، تلك إشاعة، هذا غير صحيح، منذ متى يستطيع أحد من أولئك دخول غَزَّة آمنين.

ما كنت أعلم أن تلك مقدمات لمهرجان الكشف عن الياسين 105، استدراج الدبابات إلى عمق القطاع حتى تغرق في وحل غَزَّة وتُدَمَّر بشواظ والياسين، بكل بساطة، تُهدر مئات بل آلاف الدولارات، لتكون حطب نيران "ولاعة" بطل من أبطالنا، لا يتجاوز سعرها دولار واحد.

بدأت أُقصِّر في واجباتي، الحزن أقعدني، في البداية هيَّجَني وبث فيَّ شعور الانتقام، ثم كُبِت فعاد إليَّ لينتقم من جسدي، هل سمعتَ من قبلُ بقهر الرجال؟ حياتنا هنا هي قهر الرجال.

رحم الله علي نسمان، ما احتاج أن يكتب مُذكرات مثلي ليصل صوته، ما هي إلا بضعة مقاطع مرئية في دقائق معدودة، أوصل ما لَمْ أستَطِع إيصاله في ألاف الكلمات المصَفْوَفة، أَمِن قِلةٍ قُصِف!!

رحم الله علي، كلُّ مُمثلٍ قد التصق باسمه ما تشمئز منه الأنفس، إلا عليّ، ما زاده تمثيله وجهاده بالكلمة إلا رفعة وشَرفًا.

كل شهيد، كل نازح، كل مُصاب، كل مرابط، كل مجاهد، كل قائد، كل خائف، كل فاقد، كل فقيد، كل أسير، كانوا أهلي، أُنهِكتُ قَلَقًا عليهم فردًا فردًا، لسان حالي خذوني عوضًا عنهم ودعوهم!

لكن عزاؤنا بالمِسك الذي فاح من بعد الشهداء، عزاؤنا بالصبر الممزوج بالصوت الندي من فتًى مُصابٍ يضمد الطبيب يده، إذ كان يقرأ من سورة الذاريات، بِرَجُلٍ ما دانا العاشرة من العمر وهو يقف على ركبة ونصف يتَّكِئ على فخذه بثقة ويقول للطبيب: "**بخافش**".

عزاؤنا بالتّصبِير الذي يصلنا من أهل غَزَّة، يألمون فنبكي فيواسوننا، لا غرابة في عجز العدو أمامنا!

صاحب اللثام الذي أسمعه كل يوم لِيُطَمئنني! ولمَّا أصنع ما استطعت، أهرع لأسمعه يقول: **"الأردن منا ونحن منه"**، أي الفريقين يدعم الآخر!

حَفِظتُ خطابَاتِه، رَجَعَت هيبة الخطابة لعصرنا الحديث من بعده.

والله إننا نرسل إليكم حقوقكم من المأكل مما لدينا، فترسلون لنا من العزة والفخر والاطمئنان مِن فَيْضِ ما لديكم، ليتكم تعلمون عن مكانتكم في قلوبنا!!

والله إني أنتظر يوم القيامة لأكون معكم، فإن كان عامل الزمن قد فرَّق بيننا وبين صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم، فعامل المكان فرَّق بيننا وبينكم، وتلك المِنصات التي كانت لِتُشغِلَنَا بأنفسنا عن غيرنا، أشغلتنا بكم والله، وما العجيب؟ فأنتم مِنَّا ونحن منكم.

لن ننسى الشهيد الساجد، لن ننسى المُجاهد الأنيق، لن ننسى "روح الروح"، لن ننسى "معلش"، لن ننسى "حلل يا دويري"، لن ننسى "ولَّعت"، لن ننسى "راضية يا رب راضية"، لن ننسى "يا حبيبي يا رب، وأنا؟"، لن ننسى...

لا أقول في الدنيا، بل سَنَتَسَامر بتلك الذكريات في الجنة، أنتم من ثغوركم ونحن من ثغورنا، والله اصطفاكم علينا ورفع درجتكم بالبلاء، حتى شابهتم الصحب والأنبياء!

ولكن الله يُكلف كل إنسان ما آتاه...

عندما يغفر الله لكم يوم القيامة، تذكرونا واسألوا عنا، لن نصل إليكم بما صبرتم، إلا إن ذكرتمونا!!

راودني سؤالٌ بعد الأسبوع الأول من الحرب، تُرَى ما الموضوع الذي سيُطرح في خطبة الجمعة؟

أن تذبحوا بقرة...

قراءة القرآن في ظلِّ الحرب لها أبعاد مختلفة، إنه الإعجاز، فكلُّ مكتوبٍ يَبْلَى، لكن القرآن يتفاعل معنا ونتفاعل معه...

{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ۝ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ۝ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝}

ولكن أليس الله قادرًا على إحياء الميت دون ذلك؟ بل السؤال الأَوْلَى في مثل هذا الموقف: كم من جريمة قتل حصلت عبر الزمن؟ دائمًا يُعزى

التحقيق في أمر القاتل إلى الأحياء لا الأموات، فلِمَ رُدَّت الروح لذلك الرجل ليُنبِّئ عن قاتله؟

كان ذلك حوار بيني وبين أسماء، فقد اعتدنا على مجالس النِّقَاش في دِلالاتِ الآيات على مَسامِع أرسلان وهو مُنْهَمِكٌ بأَلْعَابِه...

أسماء: هذا يدلُّ على قَضِيَّة أكبر من قَضِيَّة القتل، بدليل الآية التي تَلِي تِلك الآيات، إذْ تَتَحَدَّثُ عن قَسْوَةِ القَلب، فبنو إسرائيل لَمْ يَدَعُوا القَاتَل وشَأنَه، فالمصلحة الدُّنْيَوِيَّة لديهم قُضِيَت، ولكن مصلحة الإيمان التي غيَّر الله الأقدارَ لتُقام في قُلُوبِهِم ما أُقِيمَتْ وَلَا أَثمَرَت فيهم شيئًا.

-إذن فلِمَ البقرة؟ ولِمَ سُمِيَت سورة كاملة باسم هذه القصة رغم أن القصة هذه لا تُشكِّلُ سوى قرابة 2% من السورة؟

= قد يكون ذلك إشارة لمعنًى أكبر، سأضرب مثالًا بسيطًا، روايتك هذه أَسمَيتَها "**شرارُ مهيار**"، ولك في هذا العنوان أبعاد كثيرة، مع أن الرواية تتحدث عما يفوق شرار مهيار، ولله المثل الأعلى، لَكِنَّنَا إذا ربطنا هدف السورة الأساسيّ، وهو الاستخلاف في الأرض، بمحور القصة سنفهم الأمر.

-وضحي أكثر، لم أفهم...

= حسنًا، ستجد الكثير من الإجابات على أسئلتك في كتاب (دستور الاستخلاف للدكتور رأفت المصري) ففيه يتحدث عن استخلاف الله لآدم عليه السلام أولًا، وسُنَّةِ استخلافِ اللهِ لعبادِه في أرضه، وقد استخلف الله بني إسرائيل، ولكنهم فَسَقُوا فاسْتَبْدَلَهُم الله بأُمَّة مُحمد ﷺ، وبيَّن الله لنا أسباب الاستبدال لنَتَجَنّبَها، ولِنُؤدِي الأَمَانَةَ كَمَا يَجِب.

-وما علاقة ذلك بالبقرة؟

= رُوَيْدَك! نُرِيد الآن أن نعرفَ العِلاقَةَ التي تَربِط بني إسرائيل بالبقر...

-أنَّهم إخوة من الرضاعة؟؟

= أقصد من الجانب التاريخيّ.

-حسنًا تابِعِي..

= عَبَدَ بنو إسرائيلَ العجلَ من قبل، وتشرَّبُوه في قُلُوبهم، فَلَوْ قُلْنَا أنَّ العِجْلَ كان إلـٰهُهُم المَعْبُود، فالبقرة لَهَا قُدُسِيَّتِهَا أيضًا عندهم، عندما يُحيِي الله ميِّتًا أمام أعيُنِهم، ستُزيلُ هذه الحادثةُ شكوك الكفر بالله، ولكن الشِّركَ سيبقى حاضرًا، فقد أُشربوا في قلوبِهِم العِجْلَ بِكُفرِهِم، فأراد الله أن يَنسِفَ العِجلَ فِي قُلوبِهِم فأمرَهُم بِذَبْحِ بَقَرَةٍ صَفرَاءَ فاقعٌ لَونُها تَسُرُّ النَّاظِرين، نُسِفَ العجل الذهبيُّ ذو الخُوار، فلو نَسَفَت أيديهم العجل في اليمِّ نسفًا، فالعجل في قلوبهم لم يُنسَفْ بعد، ومن رحمة الله بهم أراد أن يُطَهِّرَهم، فسخَّرَ لَهُم المُعْجِزَاتِ لِذلك، لكن بلا جدوى تُرجى منهم.

- هل تقصدين أن سورة البقرة فينا كإحياء النفس في بني إسرائيل؟

=القرآن كله حياة، ولكن لِمَ لا نعود لحديث رسول الله ﷺ لِنرى آثارها.

هرَعتُ إلى هاتفي لأفتح الدرر السَّنية، جزى الله مُنشِئيها خيرًا، فتملَّكَتْني قصة أُسيد بن حُضير ﷺ "كان يقرأُ من الليلِ سورةَ البقرة، إذ جالتِ الفرسُ، فسكتَ، فسكتتْ، فقرأَ فجالتْ، فسكتَ فسكتتْ، ثم قرأ، فجالتِ الفَرَسُ، فانصرفَ، قال: فرفعتُ رأسي إلى السماءِ فإذا مثلُ الظُّلَّةِ فيها أمثالُ المصابيحِ عَرَجَتْ حتى ما أراها، فلمَّا أصبحَ حدَّثَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، قال: تلكَ الملائكةُ دَنَتْ لصوتِكَ، ولو قرأتَ لأصبحتْ ينظرُ الناسُ إليها لا تتَوارَى منهم"، قَرَأتُه على مسامع أسماء، وانتظرت ردَّها...

= إنَّ الذي يكاد يرى الملائكة بسورة البقرة، قد أزهر الإيمان في قلبه شيئًا غائبًا عن أبصارنا كغيب الملائكة.

شردتُ قليلًا ثم عُدت أقرأ، قال ﷺ: "لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقابِرَ، إنَّ الشَّيْطانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الذي تُقْرَأُ فيه سُورَةُ البَقَرَةِ"، وقال:"لِكُلِّ شيءٍ سنامٌ وسنامُ القرآنِ سورةُ البقرةِ وإنَّ لكلِّ شيءٍ لُبَابًا وإنَّ لُبابَ القرآنِ المفصَّلُ وإنَّ الشياطينَ لَتَخْرُجُ من البيتِ الذي يُقرأُ فيه سورةُ البقرةِ وإنَّ أصغرَ البيوتِ لَلْجَوْفُ الذي ليس فيه من كتابِ اللهِ شيءٌ"، وقال:" اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فإنَّ أخْذَها بَرَكَةٌ، وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا تَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ. قالَ مُعاوِيَةُ: بَلَغَنِي أنَّ

البَطَلَةَ: السَّحَرَةُ"، هذه السورة العظيمة تعتني بالإيمان والتوحيد بشكلٍ عجيب، التوحيد الذي ضيَّعه بنو إسرائيل فاستبدلهم الله.

= واسمع هذا الحديث، قال ﷺ: "فُضِّلْنا على الناسِ بثلاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنا كصُفُوفِ الملائِكَةِ، وجُعِلَتْ لنا الأرْضُ كُلُّها مسجِدًا، وجُعِلَتْ تُرْبَتُها لنا طَهورًا إذا لَمْ نَجِدِ الماءَ، وأُعْطِيتُ هذِهِ الآياتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البقرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ العرشِ لَمْ يُعْطَها نَبِيٌّ قَبْلِي" وفي الإسراء والمعراج "أُعْطِيَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ثَلاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَواتِ الخَمْسَ، وأُعْطِيَ خَواتِيمَ سُورَةِ البَقَرَةِ، وغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ باللَّهِ مِن أُمَّتِهِ شيئًا، المُقْحِماتُ."

-وهذا ما يُفسِّر ما رُوي عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ما كنتُ أرى أحدًا يعقلُ ينامُ قبلَ أن يقرأَ الآياتِ الثَّلاثَ الأواخرَ من سورةِ البقرةِ"

= هذا والله أمر مبهر!!

-بل اسمعي قصة البقرة مع صاحبها:" كان رجل صالح في بني إسرائيل، وله ابن طفل وله عِجْلَة فأتى بها غيضة وقال: اللهم إني استودعتك هذه العِجْلَة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل، وصارت العِجْلَة في الغيضة عَوَانًا وكانت تهرب من الناس، فلما كبر ذلك الطفل، وكان بارًا بأُمِّه وكان يُقسِّم ليله ثلاثة أجزاء يصلي ثُلثًا وينام ثُلثًا، ويجلس عند رأس أمِّه ثُلُثًا فإذا أصبح انطلق فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعه بما يشاء الله فيتصدق بثُلُثِه

ويأكل ثُلُثَه ويعطي أمه ثُلُثَه، فقالت له أمه يوما: يا بني إن أباك ورَّثَك عِجْلَة استَودَعَهَا الله في غَيضَةِ كذا فانطلق وادع إلـه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردَّها عليك وعلامتُها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المذهَّبة لحُسنِها وصُفرَتِهَا، فأتى الفتى غيضة فرآها ترعى فصَاح بِها وقال أعزم عليكِ بإلـه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، فأقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها[1]..."

=بقرةٌ ثمينةٌ يستودعها مؤمنٌ لله فلا تكون إلا بيد ابنه بعدما يشاء الله من الزمان، فالله يصدق مع الصادقين، بينما تجد أُولئك الصهاينة يعبثون بجينات البقر ليُصبح أحمرًا قانيًا صافيًا، حتى في تنفيذهم لأوامر الله يعبثون!

-بل حرَّفوا هدف الذَّبح بدلًا من إحقاقِ الحق، إلى تَطهِير كل من مسَّ ميِّتًا، كأن الميت نجس! ما لهؤلاء القوم! حتى في الممات يُعذبون صاحبهم!

=لا حول ولا قوة إلا بالله، الحمد لله أنَّنَا لَسنَا منهم ولا معهم، فقد اجتمع فيهم السَّفَهُ والذِلَة والمَسكَنَةُ والعَذَاب.

-ولكن السؤال الذي يراودني الآن، ما العجل الذي علينا ذبحه لنَنْسِفَهُ من قلوبنا؟؟

[1] انظر: الخازن، كتاب تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل/ والخطيب الشربيني، كتاب السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير.

الشاعر محمد صالح -رحمه الله-

يقول أحدهم: "المحادثة قبل الأخيرة بيني وبين صديقي الشهيد الشاعر محمد عبد الرحيم صالح قبل سُوَيْعَات من بِدء عبور طوفان الأقصى..

وقد نال محمد ما تمنَّى في بيت شعري كتبه ويُنشر للمرة الأولى:"

دعواتكم لمحمد بالقبول...

وأقول في مُعارضة بيته:

سَلِمَ الدماء ومن حواه وإن قُتِـل ... طـــــوفان عزٍّ لا عذاب النارِ

أرأيت إن أصبحت معبَر قُدسنا ... وأخـذتَ حظًا من ثوابٍ جاري

يا ذا الفعال البَانِيَاتِ سفيننـــــا ... الفـــعل صلبٌ والكلام دِساري

يا ليتَ شعري هل أجود بأحمرٍ ... في صفِّ جيشٍ من أسود ضارِ

بعض الممات حياةُ أكبرِ همّنـا ... والمـــــوت برهانٌ لصدقٍ سارِ

نَم في سلامٍ والطريق طريقنـا ... طِيـــب الدما في جعبة المغوارِ

تمكين

"في ظلّ انغماسكم هنا..

تَخَفّفوا قليلًا من التَّصَفُّح، واصنعوا من الأحداث شيئًا انتقاليًّا في نفوسكم، خذوا فترات، حتى لا نكون أشتاتًا، تأمّلوا سنن الله وتدبيره، انظروا في الآيات طويلًا، اقرؤوا حديث رسول الله، جاهدوا على ترك ذنبٍ وبُعد خطأ، وافهموا أبعاد المرحلة، ما زلنا في التّكوين للتّمكين، لكلّ قدمٍ خطوة، ولكل قلبٍ استِباق."

أ. قصي العسيلي [24 ربيع أول 1445]

"انقَلَبت حَيَاتُنا، تَغَيَّر يَومُنا، ضاعَ نَومُنا، أنهَكَنا التَّعَب، نتابع بلا توقّف، دعواتنا لا تنقطع، اهترأت أجسادنا خلف الشاشات!!

على رسلك! ما قَدَّمتَ شيئًا بعد! لا تدّعي تَعَبًا لَم تَذُقه! ولا تدخل في إطار المقارنات، ما عشت دقيقةً في نَفَق، ولا جاع بطنك في رِبَاط، ولا أنَّت روحُكَ اشتياقًا، ولا ارتعشت يدك عند شُرب الماء، أي تعبٍ تقصد؟ هي مجرّد محاولات ضعيفة، لنشارك معهم شيئًا من الجنّة هنا، قبل الرّحيل هناك."

أ. قصي العسيلي [25 ربيع أول 1445]

"صرنا لا ننام..

هي هكذا، تحمل الأمر كأنّه مسؤوليّتك، كأنّك في الميدان وحدك، لا ترمش عينك، ولا تلتفت! تودّع النّوم إلا قليلًا، تتابع باهتمام، تكرّر الدّعاء، تُطيل السُّجود، يزداد رصيدك الإيماني، وشعورك القَلبِيّ، ووردك القرآنيّ، تتحرّك كلّ خلِيّةٍ فيك مع أيّ خبر

الجرح جرحك، والهَمّ هَمّك، وكلّ ضربةٍ كأنّها فيك، وكلّ دمعةٍ تسقي عينك، كأنّها لك! هي هكذا، يُرَبّينا الإيمان على المسؤوليّة، وأنّك جزء من الأُمّة، بكل قضاياها وجراحها ومن فيها، تعيش بصدرك وبين جنبيك، كُلُّ قلبٍ قَلبُك، وكلّ مسلمٍ أنت."

أ. قصي العسيلي [25 ربيع أول 1445]

ربيع ثاني

الآلام تتزايد، والأعداد في القتل تتضَاعَف، ومؤشرات الإعلام تُشِير إلى تَقَدُّمِ العدو وتنكيله بنا، وبدأ الانهزام النفسي يستحكم في قلوبنا، وليس يصدر منا سوى وقفات التضامن والاعتصامات، حتى النَّفِير، ما عاد يشير إلى الزحف نحو الجهاد، بل معناه أن تنطلق معتصمًا نحو السفارة، حتى الحدود أُغلقت في وجهنا من كل حدب وصوب، وما عاد لدينا أي مخرج للنفير نحو الحدود.

بدأت أشعر بالذنب والخيانة، أنا خائن لأن أهل غَزَّة يموتون وأنا هنا في أمان، أنام وأصحو كما أشاء، وآكل مما أشاء، وأعمل كما أُرِيدُ، أنا خائن لأنني حيٌّ!

بدأت الأرض تضيق علي بما رحُبت، أصبح طعام اليوم الواحد يكفينا لثلاثة أيام، أو يزيدون، فلا رغبة لنا في الطعام، يَزُورُنِي حازم، فيقترح عليَّ رحلةً عائليةً إلى مزرعةٍ أو استراحة، كنت أرمقه بنظرةِ غَضَبٍ.

حازم: مهيار، إن غَزَّة لن تُروَى بظَمَئِك، ولن تَشْبَعَ بجوعك، ولن تَتَحَرَّرَ بأَسرِك، ولن تَسْعَدَ بِهَمِّك، ووالله لو كان الأمر كذلك، لَسَبَقتُكَ إلى معيشةِ الضَّنك تِلك، فليتني أقدِّم حياتي لأجلهم، ولكنِّي ما زدتُهم إلا ألمًا وخذلانًا، ولو أنِّي عَمِلتُ من مكاني بِما يرضي الله لكان خير لي ولهم. مهيار،

حاولتُ الانضمام إلى الوفد الطبي مِرارًا، وكل محاولاتي بائت بالفشل، فأَيُّنَا أَحَقُّ بالحزن؟

- على الأقل، أنت تستطيع تقديم شيئًا أيًا كان، ولكني لا أستطيع.

= غير صحيح، أخي، فكر جيّدًا، ما خلقك الله واستخلفك لتحزن، وما جعلك في الأردن هاهنا عبثًا، ولا تقارن بيني وبينك فلكلٍ سبيلٌ وطريقة.

حاولت تغيير نمط معيشتي بعدما رأيت أسماء وقد أُلقيت أرضًا من الألم، وما كان من طبيبتها إلا أن قالت: هل أنقذتِ أهل غَزَّة الآن؟ كل ما فعلته أنك أنهكتِ جسدك، ماذا عن ابنك؟ من سَيُرَبِّيْه ليكون رِفعة لأُمَّة محمَّد؟ ماذا عن زوجك؟ الذي سيحزن لحزنك فيخفِت أمَلُه ويقِلُّ عَمَلُه ولا يَأتِيكِ إلا بِمَا يَسُدُّ جوع البيت، ولو أنه كان قويًا لفاض لديه ما ساند به أهل غَزَّة، فكان له أجرًا كأجرِهم في رِبَاطهم!

إن كنتِ لا تستطيعين التَّحَكُّمَ بنفسك فلا تشاهدي الأخبار، ولا تنجرفي خلف الحرب النفسية فتصبحين لقمة سائغة في فم العدو.

- ولكنهم دائمًا يطلبون منا متابعتهم ودعمهم! هذا السبيل الوحيد!

= لو أبصروك لعذروك، وإن كان ولابد فلا تتابعي إلا إعلام المُقَاوَمَة، فالشائعات في الشبكات تفوق النَّبَأ الحَقّ!

معها حق، لم أعد أعمل كما كنت، أصبحتُ مقصرًا، وأرسلان يُرَاقِبُنا، ويُراقِبُ تفاعُلَنَا مع الأحداث، ونحن نُرَبِّي رجلًا!

المستشفى المعمداني

كُنتُ أقرأ الخبر من غير استيعاب، كنت في مصعد العِمارة أَنوِي الخروج إلى العمل، خَرَجتُ مِن كُل تطبيقات الهاتف ووضعت الهاتف في جيبي، ثم ركبت سيَّارتي وانطلقت.

كان المُذيع يتحدث عن المجزرة في السيارة، أغلقت المذياع، قد يكون ذلك هروبًا، نعم كان هروبًا من شعور الخيانة الذي يلاحقني في كل مرة أسمع الأخبار فيها.

سئمت من كوني مجرد أُذُن!

تلك المقاطع المرئية التي كُنتُ أراها صدفةً ويمنعني قلبي من الابتعاد عنها كانت تَحرقُني، تلك السكاكين التي تخرج من الصاروخ الأمريكي الذي لا أعلم تركيبته تمامًا -فلستُ خبير أسلحة-، كنت أشعر بها في جسدي، كنتُ أبكي كالطفل في كل مرة أرى فيها مقطعًا من تلك المقاطع.

إلا أنِّي كنت أهرَعُ إلى ملك السعادة في كل مرة لأسمعه يقول:" إخوتي وأخواتي الكرام أسعد الله مساءكم بكل خير معكم عبود...".

يُطلُّ عبود في كل مرة ويتحدَّثُ عن أحوالهم بكوميديا سوداء، كانت سوداء فعلًا، ولكني كنت أبحثُ عن بصيص راحة في هذه الحرب!

كنت أزداد ألمًا عندما يقول لي أحدهم:" هاد وانت عايش ببيتك وبين أهلك وما فقدت حد من أصحابك!".

لو أن بيتي قد هُدم لجعلته لله، وَلَاطْمَأنَنْتُ بما قدَّمْتُ لله، ولو فقدت أحبابي فسأَتَخَطَّى كما تخَطَّيتُ وفاة أبي، والله معي، ولو كنت هناك لَحَمَلتُ روحي على راحتي، لا أضع نصب عينيَّ إلا الجنَّة.

ولكني أفكر بأخٍ لي هُدِمَ بيته لأُصَلي أنا في الأقصى، وسُفكَ دَمُهُ ليُحفظَ دمي، ومات وَلَدُه ليحيا وَلَدِي، وضاع صحبه ليأمن صحبي.

كلَّا وربِّي! لا أرضى أن يدفع أحدٌ ثَمَنَ معيشتي من دمه، فكيف لو كان مسلمًا!!

والله لو هُدِمت الكعبة خمسًا وعشرين ألف مرة لكان أهون على الله مما يحصل في غَزَّة الآن، يا لوجع الفؤاد!

أصبح شعور الخيانة ملازمًا، نومي ليلا خيانة، طعامي اللذيذ خيانة، وجودي مع أهلي خيانة، عملي كل يوم خيانة، تسوُّقي خيانة، سيَّارتي خيانة، بيتي خيانة، أصبحت كل حياتي خيانة، ويكاد جسدي يحكم علي بالإعدام لِما يراه من خيانة!

كان يصلي!

أخبرني ابن خالتي بأنه ذاهب إلى الجامعة مبكرًا، ولن يستطيع القدوم إلي، بعد أن طلب منِّي مساعدته في دراسة أحد المواد الحاسوبية، وأخبرته بوجودي في مَتْجَرِي، ويمكنه أن يأتي متى شاء.

بدأت أتصفح الهاتف أبحث عما ينفض أذى الخيانة عني، فصادفت الخبر الآتي:

"تهجُّم الأمن الجامعي في إحدى الجامعات على مجموعة من الطلاب خلال أدائهم صلاة الغائب والدعاء لأهل غَزَّة".

اتَّصلتُ بابن خالتي: عزّام، ماذا يحصل؟ الأخبار تتحدث عن شِجَارٍ حاصِل بين طلاب الجامعة والأمن الجامعي.

- لَمْ أَكُنْ معهم يا مهيار، تعرضت لحادث بسيط ما أَخَّرَنِي عن الجَامِعَة ولم أبلُغ الصلاة معهم، ولكن لا أظنُّ أن هذه القصةَ بجامِعَتِنَا، فهي مُرَجِّبَةٌ بأيِّ مُمَارَسَاتِ دعمٍ للشعب الفِلَسْطِينِيّ، ومُرَجِّبَةٌ بكل ما يخدم الأمة والدين.

= لا أعلم، هذا ما رأيته في الأخبار...

- حسنًا سأتحدث مع أحد أصحابي لأَرَى ما الأمر، وداعًا.

= مع السلام، انتبه لنفسك.

أخٌ منسيٌ...

كنت أعلم أن في السودان مشاكل سياسية، وأنَّ الأبرياء والبُسطاء راحوا ضحيَّة، وأن منهم من لجأ إلى المملكة العربية السعودية، ومنهم من لجأ إلى مِصر، ولكني ما كنت أتخيل حجم الظُّلمَانِيَّة التي تحدُث في السودان.

حتى إني أصبحت أشعر بالظُّلمِ عندما أذكُرُ غَزَّة وأنسى السودان، والسودان تذكرني ببورما والأفغان، فأتذكر الإيغور، ثم سوريا فالعراق ولبنان، يا لعُمقِ جُرحِ أُمَّتِنَا، يَكَادُ العقل لا يثبُتُ في الرَّأسِ لِهَولِ ما نحن فيه.

صار المسلمون بين قتيل الجسد وقتيل النفس وقتيل الروح!

فقتيل الجسد شهيدٌ بإذن الله، وقتيل النفس مأجور بألمِه والحمد لله، أما قتيل الروح، فواحسرتاه على قتيل الروح!!

خباب بن الأرت

أرجو من الله أن يكون الطوفان معركة التحرير، ليس لأجل أن يعمَّ السلام، لأن السلام لن يعم، وليس لنعود إلى أرضنا، فقد تكون عودتُنا إلى ربنا أقرب مِن العَودَةِ إلى أَرضِنَا، وليس لِحَقْنِ دماء أحد، فكلُّ ما في الأرض بلاءٌ من الله والنصرُ لا يدفع بلاء الله عن أحد، (لا أستنقص أبدًا من بلاء أحد، بل إنني أرتجف لو فكرت أنني قد أعيش كعيشة أقل أهل غَزَّة ضررًا، أخاف ألا أصبِر في ذلك الموقف، أن يكون حجة علي لا حجة لي)،إنما لإعلاء كلمة الله في الأرض، ولعلَّنا نكون من أصحاب الحقِّ.

قد ذهب سيدنا خباب بن الأرت إلى رسول الله ﷺ في العهد المكي وطلب منه أن يستنصر للمسلمين، أن يدعو للمسلمين.....

عندما سمعت طلب سيدنا خباب أول مرة، ظننت أنَّ رسول الله ﷺ سيدعو الله مُباشرة، أو سيخفِّفُ عن أصحابه ما أصابَهم، ظننت أنَّه قد يُبَشِّرهُم بالهجرة، أو يَأذَن لهم بالجِهاد، ظَنَنتُ أنَّ رسول الله ﷺ سيُقابِل الطَّلب بكلِّ رحمة ورأفة -حسب تعريفي القاصر للرأفة والرحمة آنذاك-.

لكن رَدَّ رسول الله ﷺ كان صادمًا بالنسبة لي، واحتجتُ وقتًا لأستوعب سبب هذا القول من رسول الله ﷺ، إذ قال: "إنَّ من كان قبلكم كان

أحدُهم يُوضَعُ المنشارُ على مَفْرِقِ رأسِه فيخلصُ إلى قدَمَيه لا يصرفُه ذلك عن دِينِه ويُمشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما بين لحمِه وعظمِه لا يَصرِفُه ذلك عن دِينِه".

قد يقول قائل: "مين شاف مصيبة غيره هانت عليه مصيبته"، ألا يعلم القائل أن هناك فئة من البشر يألَمُون لِمُصَابِ غيرهم كما يألَمُون لمُصَابِهِم؟ فتتراكم عليهم الهموم وحسبنا الله ونعم الوكيل...

ولكن رسول الله ﷺ لا ينطقُ عن الهوى، فَلِمَ رَدَّ بما يجعل الإنسان يشعر بالتَّقصِير رُغم تَعَبِه؟؟

كنت أفكِّر في شعور سيدنا خباب حينها، فكَّرتُ بشعوره فقط، وما تذكرت أنَّ رسول الله ﷺ قد ربَّاهم على ما هو أكبر من ذلك بكثير، كمُعلمٍ أفنى جهدًا في تدريس طلابه حتى اطمأن لحالهم، فخرج طالبٌ يطلب منه التخفيف، فيقول له: علَّمتُك ما تعلَّم الطلاب من قبلك وأقدَمُوا على أصعب مما تُقدم عليه أنت، فعادوا إلينا رافعين الرؤوس، فما الداعي للقلق؟؟

ولله المثل الأعلى....

ثم قال: "واللهِ لَيُتِمَنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حَضْرَمَوتَ لا يخافُ إلا اللهَ والذئبَ على غنمِه ولكنكم قومٌ تَستَعْجِلونَ."

فكرتُ ثانيةً بعد هذا القول، إننا فعلًا نجول في الأرض بلا خوف، نسافر بلا سلاح، وهذه فكرة مجنونة في العصور السابقة، ولكن السبب جيش وحدود وتفتيش وغيرهم.....

رغم أن رسول الله ﷺ قال عن السبب بأنه تمام "الأمر"، كأنَّ الأمر ما تمَّ في زماننا!

في فتوحات الإسلام مغانم كثيرة، فَلِم ذكر رسول الله ﷺ الأمن بالذات؟

لا أعلم إجابات معظم الأسئلة، ولكن ما أعلمه أن رسول الله ﷺ كان يُعدُّ صحابَتَه لحَملِ أمَانَةٍ تحمِلُهَا الأَجيال من بعدهم، فلا يخاف أحدهم في الله لومة لائم، فمن خاف الله لن يخيفه شيء...

منذ بداية الحرب لم أخف بحقٍّ إلا من أمرين، أن يُفجع الناس بالمُصاب فيرتَدُّوا عن دِينِهم، وأن أتعرض أنا لمثل ذلك المُصاب فلا أستطيع ببضاعتي المزجاة صبرًا على قَدَرِ الله.

ورغم ما تمَلَّك قلبي من حُزنٍ على مُصاب إخواني، فإنَّ ما أعلمه يقينًا أنَّني لست أرحمَ بأحدٍ من ربِّهِ بِه.

تسجيل البناء المنهجي قد بدأ، هذه فرصتي لدراسة العلم الشرعي، سجلت فيه أنا وأسماء، وقد عَلِمنَا أنَّ مُعظم الطلاب السابقين كانوا من غَزَّة، ليس مستحيلًا أن تَكُونَ كأهل غَزَّة، بل ليس بعيدًا، ولكننا نُصعِّب على أنفسنا ليس إلَّا.

رنَّ الهاتف... إنه حازم...

حازم: مهيار يا أخي، قُبِلت لأكون ضمن الوفد الطبي الذي سيخرج إلى غَزَّة.

مهيار: يا للبشرى، تقبلك الله يا أخي، يا لِسَعدِك، ليتني طبيبًا لأكون هناك معك...

حازم: الحمد لله، لن أستطيع رؤيتك قبل السفر، فالأوضاع صعبة عليّ، ولا وقت لديّ، ولكنَّنِي سأحاول ما استطعت أن أراك قبل السفر.

مهيار: سامَحك الله يا أخي، سأوصلك أنا إلى المطار.

حازم: كنتُ سأخرُج إلى المطار مع الوفد، لا داعٍ لإتعابك.

مهيار: أتستَكثِر عليَّ أجرَ إيصال من تحيا الأنفس بفضل الله بطبه، فيكون من أحياها كأنما أحيا الناس جميعًا؟!

حازم: حاشاك يا أخي، أبشر، أنتظرك لتوصلني إلى نقطة التجمع والانطلاق.

مهيار: على بركة الله.

احتضنت أخي حازم، أخي الذي لم تلده أمي، ولكن اسم الأب والعائلة جَمَعَنَا سويًا، احتضنته بشدة، فقد تكون هذه المرة آخر مرة أراه فيها.

لَمْ أستَطِع كبح عَبَراتي، حاولتُ حبْس الدموع، ولكن بعض العبرات هَرَبْنَ مني، إني أُودِّع أخي، وربما لا يعود.

قلت بصوت خافت: ليتني أذهب إلى غَزَّة معك.

فنظر إليَّ حازم بحنان، وأمسك لحيتي، وقال: ابن أم، إن الله اختارك لتكون في هذا الوطن، لأن مهمَّتك هنا أجدى من مهمَّتك هناك، يابن أم، إنَّ الله اختار لك نوع البلاء وأنت عبد له، فاستقم كما أُمرت، فالتخيُّر بين أنواع البلاء ليست وظيفتُك، إنما وظيفتُك أن تَرَضَى وَتَسَعى.

وضعتُ فِي يَدِه أربعة آلاف دينار، كنت قد ادَّخرتُهَا لحاجةٍ في نفسي، ولكن أخي اليوم أحق بها مني.

حازم: ما هذه؟

مهيار: ستعلم هناك...

لا أعلم لِمَ أجبته بهذه الإجابة، الأمر واضح، كل ما في الأمر أني خائف على أخي، والمسافر يحتاج المال ليسافر به فكيف بمن يسافر إلى منطقة تُعَدُّ خَطِرَة!

قد دوَّت عبارتُه في ذهني كثيرًا "التخيُّر بين أنواع البلاء ليست وظيفتك، إنما وظيفتك أن ترضى وتسعى".

۞۞۞

جمادى

دعوت الله أن يُنزِّلَ الغيث على أهل غَزَّة، وقد استجاب الله لي والحمد لله، ووصلتني صورة طفل يشرب من ماء المطر، ويقول أهل غَزَّة: "بدناش جميلتكم، ما بدكم تسقونا، الله بسقينا".

الحمد لله، وليست غَزَّة بعيدة عنا، فالمطر عندنا وعندهم يكاد يكون واحدًا، كنت أمشي تحت المطر وأدعو الله: "اللهم سلامًا على أهل غَزَّة، اللهم رجومًا على عدوك وعدونا".

لكن ما لَمْ يَكُنْ في الحسبان، أن ذلك المطر الذي دعوت به لأهل غَزَّة ليَسقِيَهُم، كان هادمَ الخيام، فلم أُجرِّب اللُّجوءَ، ولم أعلم معنى ضرر الشتاء، حياة العِزِّ هنا أنستني ما يعانيه أخي!

نستمر بالمسيرات، ونسير بحملة إنزال القاطع، ولن أتحدث عن المقاطعة، فأمرُها منتهٍ منذ المرة الأولى، عندما كنت طفلًا وكانت توصيني أمي ألَّا أشتري من منتجات الذين يقتلون إخواننا وأبناء إسلامنا، منذ 1429هـ - 2008م، ولكن ذلك كله لا يزيل تهمة الخيانة عنا...

"يا رب، وعزتك لو كان بوسعي الجهاد لأحمي طفلًا أو امرأةً أو كهلًا أو شابًا أو شيخًا من المسلمين لَنَفَرتُ، ولو استطعت أن أفدي روحي لأجل ظفر طفلٍ مسلمٍ لفعلت، وليس أرسلان يختلف عن بقية أطفال المسلمين، هو مثلهم، إن كُنتُ سأُستَشهَدَ فهو ابن شهيد، أو أروح أسيرًا فهو ابن أسير، أنت ربُّه وأنت تتولاه، وكيف يتولاه أبٌ لا حول ولا قوة له إلا بك؟ يا رب، نجِّنا من عذاب النار."

أسماء: هل تظن الحدود مُغلقةٌ بأمرِ أحدِ البشر؟

مِهيار: فبأمر مَنْ إذَن؟

أسماء: لو كان للمؤمنين قوة إيمانيةٌ ورغبةٌ جادةٌ بالجهادِ لفتح الله لهم الحدود من غير حول منهم ولا قوة، وليس لأحدٍ مِنَ البَشَرِ على أمر الله سلطان، بل إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون.

مِهيار: أسماء، تحدَّثِي بِوَاقِعِيَّةٍ، أميركا تفرض سَيطَرَتَهَا على مُعظَمِ العَالَم.

أسماء: فكيف لو أتيتك بمن فرض سيطرته على كل العالم؟

مِهيار: من تقصدين؟

أسماء: قوم عاد، القوم الجبَّارين الذين طغوا في الأرض وأكثروا فيها الفساد، ما كانت إلا أربعة أيَّام، حتى دُرِسَ أثرهم فلا ترى لهم باقية!

مِهيار: تقصدين أنَّ الرَّكبَ لم يَفُتنِي؟ أنَّ ما عليَّ الآن هو الإعداد.

أسماء: ما كان ذلك إلَّا تذكيرًا، وأنت أعلم بهذا مني، بِيَدِكَ الآن بِكْ، والمُستَقبَلُ بأرسلان، فاحرص على ما يرضي الله منك، أنت عبد لله، ولست عبدًا لغَزَّة أو فِلسطِين، يريد الله أن نكون جسدًا واحدًا، ولكن المبالغة تضرهم وتضرنا...

لستُ رقمًا!

كتب أحد أهل غَزَّة تغريدة يقول فيها:" أنا لست رقمًا، لديَّ عائلة وأصدقاء وأحلام، لدي مهارات ومواهب تُمَيِّزُنِي عَن غَيري، لَدَيَّ حياة وذاكرتي مَلِيئَةٌ بالأحداث الجميلةِ أحيانًا والصعبةِ أُخرى...

أنا لست رقمًا، كان من المُفتَرَضِ أن أَعِيشَ كَأَيِّ إِنْسَانٍ على هذا الكوكب، ولا أُرِيدُ أن أموت وتموت أحلامي معي ثم أصبحُ مجردَ رَقم".

كم وَدَدْتُ لو أنِّي أُعطِي كَاتِبَ هذه التغريدة حياتي ويَهَبَنِي حياتَه، غير أن اللهَ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالَتَه، فأمَّا أنا فَلَيتَنِي رَقمٌ مَجهُولٌ فِي الأَرضِ مَعرُوفٌ في السَّماءِ، ليتني قتيلٌ بين أحضانِ البلادِ، شهيدٌ عِندَ رَبِّ العِبَادِ، قد نَظُنُّ الرَّقمَ تهميش، لكنَّه وربِّ رحمةٌ.

عن أبي ذرٍّ قال:" قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ كم الأنبياءُ ؟ قال: (مئةُ ألفٍ وعشرون ألفًا) قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ كم الرُّسلُ مِن ذلك ؟ قال: (ثلاثُمئةٍ وثلاثةَ عشرَ جمًّا غفيرًا) " [صحيح].

وكلُّ أولئك يا رَعَاكَ الله صَفْوَةُ صَفْوَةِ اللهِ، وأنا لم أُحَدِّثْك عن الأولياءِ والصِّدِيقِين، حَدَّثْتُكَ عن أعدادٍ ضَخمَةٍ لِلأَنبِيَاءِ مَا عَرَفنَا مِنهم سِوى خمسٍ وَعشرينَ نبيًّا في القرآن، وعددٍ قليلٍ آخَرَ في السُّنَّة، أَفَتَقُول عن هؤلاء الذين نَعرِفُ مَنزِلتِهم حَقَّ المَعرِفَةِ أَنَّهُم مُجَردُ أرقامٍ.

"لَيَدْخُلَنَّ مِن أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُ مِئَةِ أَلْفٍ، لا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ." [صحيح]

بصراحة، لَطَالَما تمنَّيت أن أكون ضِمن هذا الرقم الكبير الذي لا أعرف أسماء أصحابه إلا عُكاشة ﷺ، يا أخي ليتني رقمًا في هذه القائمة.

عمومًا أيًا كانَ زَماني ومَكَاني، سيأتي عليَّ يومٌ أكونُ فيه مُجَرَّدَ رَقم، حتى اسمي سيُنسى وسأُصبِحُ في الذِّكْرِ كَمَا كُنتُ قبل أن تَلِدَنِي أُمِّي، ولكنِّي حريصٌ جدًا على اختيار القائمة التي أُرِيدُ أن أكون رقمًا فيها.

أحلام طفولتي

لم أُفصح لحازمَ ولا حتى لأسماءَ أنِّي كنتُ دائمًا أحلم أن أموت شهيدًا في المسجد الأقصى وأنا ساجد لله...

كانت أحلام طُفُولَتِي التي أرسمها في مُخيِّلتي كل يوم أن أموت ساجدًا شهيدًا قرب المكان الذي تَطمَئِنُّ بِه نَفسِي، لَمْ أَكُنْ قد اقتربت من الأقصى وأنا صغير، ولكني كُنت أهدأ عندما أرى صُوَرَ المسجد الأقصى، أقفُ إجلالًا مُتَأمِّلًا هَيبة المشهدِ وجماله، فكيف لو كنتُ أتَجَوَّلُ في سَاحَاتِه؟؟ بل كيف بي إذا لامس جَبِينِي تُرَابُه؟

بَدَأَت أحلامي بالشَّهَادَةِ تَتَلَاشى مع العُمْر، وَقَعتُ فِي مَعَاصٍ كَثِيرَةٍ، ولَمْ أَعُدْ أرانِي جَدِيرًا بالشَّهَادَةِ، صارت الشَّهَادَةُ طَيفًا جَمِيلًا يَمُرُّ على خَاطِرِي كُلَ يَومٍ، ولا أنالُ مِنهُ إلا كما يَنالُ ابنُ السبيلِ من السَّراب.

كُنتُ أزعُمُ أنَّ الذي يَمُوتُ شهيدًا لابُدَّ أنْ يعيشَ شهيدًا، وكما يَشهَدُ الشَّهِيدُ ما لا يشهَدُهُ غَيرُه لَحظَةَ مَوتِه مِن نَعِيمٍ، فَلابُدَّ أن يكونَ في حياته شاهدًا على ما لا يعلمه غيره في ملكوتِ الله، أن يتعلَّقَ قَلبُهُ بِالله، أن يُعرِضَ عَنِ الدُّنيا حتى تأتِيه رَاغِمَةً.

ولَمْ أَكُنْ أرى في نفسي ذلك الزاهدَ القريبَ من الله لأَكُونَ شهيدًا..

كنتُ أدعُ اللهَ بالشهادةِ مُذ كُنتُ صَغِيرًا، وكان الناس يَظُنُّونَ أنَّنِي أَكرَهُ الحَيَاةَ، ولكنَّهم لا يعلمون أنّي أُحبُّ الحياةَ أَكثَرَ مِنهُم، فكلُّ النَّاسِ يموت، إلا الشهيد، فكيف لطالب الحياة أن يَكرَهَهَا؟

كنتُ كُلما كبُرت سَنَةً تَخَلَّيتُ عَن جُزءٍ مِن إلحَاحِي بالدُّعاءِ أنْ خُذنِي اللهم شهيدًا، حتَّى أصبحتُ لا أدعو بهذه الدعوة إلا مرَّاتٍ قَلِيلَةٍ أَعُدُّهَا على أصابع يَدِي فِي السَّنَةِ الواحدة!

تَسَلَّل اليَأسُ إلى قلبي ولكنَّه قُتِل...

قتله رجل يلبس قميصًا أبيض يركض بين المباني، تقترب منه طائرة الاحتلال، تُحَاوِلُ تصويره في أصعب اللَّحظَات عند أيِّ إنسان، صوَّرَته يَنزف، فيشير بسبَّابَته، لا يستطيع أنْ يحرك أكثر من ذلك، وبقدرة عجيبة خارجة عن القُدرة البَشَريّة بلا شكّ، قام وسجد، كأنَّ الرُّوحَ عادت إليه ثم استُشهد، أو حَمَلَه شيءٌ فأعانه على السجود، لا أعلم، لكن ذلك كان مشهدًا صادمًا جدًا بالنّسبة لي.

أعدت مشاهدة المَقطَع مرارًا، وفي كل مرة أشعر في قلبي شرارٌ يُساعِدُه على البقاء حيًّا، أن يبقَ متشبثًا بالدعاء، أنَّ الإنسانَ لا يَصل إلى علاقةٍ عميقةٍ مع الله مما تَكسِبُ يداه وحسب، فَكَسبُ اليَدِ إنْ تَبِعَهُ غُرُورٌ أو شابَهُ شيءٌ ضاع هباءً منثورًا.

كلُّ مرة أفكّر بشكليَ الذي يجب أن يراه الله مني لأصِلَ إلى هذه المنزلة، أشعر أنني أطلب شيئًا لا يمكن تحقيقُه!

ثم أفكر بأولئك الشهداء، ما هم سوى بشر مثلَنَا، وكم من شهيدٍ أمضى جُلَّ عمره يحاربُ الإسلام، ثم مات شهيدًا!

فهاكم سيّدِي عِكرِمَة ابن أبي جهل ﷺ مات شهيدًا ذائدًا عن الإسلام، يقاتل مُعليًا كلمة الله في نفسه قبل أن يُعْلِيَهَا في الغَبرَاء، مات عكرمة وهو يُؤْثِرُ إخوانَه عنهُ بِشَربَةِ مَاء، وذَلِكَ بَعدَ مُحاربَتِهِ الإسلامَ واحدًا وعشرين عامًا!

فلِمَ لا أكون كالشهيد الساجد؟ إن الله لن يزيد في مُلكِهِ شيءٌ لو كان كل الناس كالشهيدِ السَّاجِد، ولَن يُنقِصَ مِن فَضله شيئًا أن يكون كل الناس منذ آدم عليه السلام إلى يوم يبعثون كالشهيد الساجد.

فبما أن الأمر كلَّه لله، فما شأني أنا أن أحدِّدَ درجة استحقاقي لهذه المنزلة! أليس كل ما عليَّ الاستجابة لأمر الله، والتَّقرُّبَ إلَيهِ بالنوافل، والدعاء؟

فيا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طَرفَة عَين..... واجعلني اللهم كالشهيدِ الساجد.

العُمر الافتراضي

لَمْ أَكُنْ أعرف العاروري، عندما قلت لحازم إني مصدوم بأني لازلت حيًا حتى الآن، وكان لابد أن أموت منذ زمن، ولكن عمري طويل جدًا، خمس وعشرون عامًا، عشت ربع قرن كامل، يا لها من حياة طويلة.

ولكن ما لفت انتباهي للشيخ صالح، أنني سمعت أخيرًا أحدًا ينطق بما نطقت به من قبل، ولكن شتان ما بيني وبينه، شتان بين من يتكلم فوه وحسب، وبين من تنطق فوهة بندقيته قبل فيه.

وإن أولئك الشهداء لكلماتهم حياة تُفسر بعض ما استشكل على الأحياء فهمه، فإنهم رأوا من غيب حياتنا ما لم نَرَه، فاختارهم ربي للشهادة، أما نحن..... فليس بعد.

"اضربوهم في كل مكان، يجب أن يفقدوا الأمن في كل مكان".

"نحن لا نختلف عن باقي شعبنا، نحن جزء من هذه المُقَاوَمَة، ويمكن أن نكون جزءًا من هذا الثمن".

"شرف لنا وواجب علينا أن نكون في صدارة المُدافعين عن شعبنا وأرضنا".

الشهيد-بإذن الله- صالح العاروري خلال تأديته شعائر الحج العام الماضي طلب منه أحد معاونيه التقاط صورة له فقال" :خذ صورتين فلا أظن أني سأكمل هذا العام، وهذا آخر عمل أرجو أن أختم به حياتي".

" يا شعبنا العظيم، قاتلوا بكل الأسلحة، وما تيسر من الغضب".

"دماؤنا وأرواحنا ليست أعز ولا أغلى من أي شهيد أولًا وأخيرًا، ولا يجوز لأُم شهيد أن تشعر بأن دماء القائد أو المسؤول أعز وأغلى من دماء ابنها، سواسية نحن، والشهيد الذي سبقنا بيوم أفضل منا".

هذا الذي قالوا له إنهم أعدوا لك فقال: "أنا عايش فوق عمري الافتراضي ولازم من زمان استشهدت!".

عن الشوق للأحبة نتحدث!

Happy new year

لعل تُرَّهَات احتفال المسلمين برأس السنة الميلادية -وأخص احتفال المسلمين دون غيرهم- كانت أخفّ من ذي قبل هذه المرة، أما الذين احتفلوا، فلا عتب عليهم بخذلانهم غَزَّة، فهُم خذلوا الله فهل يَنصرُون عِبَادَه!!

يناير، فبراير، مارس، أبريل، مايو، يونيو، يوليو، أغسطس، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، قد ذكرت للتو آلهة الرومان، أوثان مُستوحاة من الكواكب التي كانت تُعبد من دون الله من قبل ولادة نبي الله عيسى عليه السلام، وما كان الحساب الشمسي في التأريخ سوى تعظيم في نفوس أولئك القوم للشمس التي اتخذوها إلهًا من دون الله، أما يُوليو فهو اسم الوثن يوليوس، الذي أوحى به الكهنة والشياطين للدكتاتور جانوس، قيصر الروم في تلك الحقبة، وأحد كبير الكهنة والسحرة، وقِس على تلك الشاكلة.

يعني التقويم الميلادي تقويم وثني بامتياز، فحتى نبي الله عيسى عليه السلام، كان قومه يؤرخون بالتأريخ الهجري، وكل الأنبياء من قبل كذلك، فالتاريخ الهجري مرتبط بالمناسبات الإسلامية، فالذي يؤرخ بالتاريخ الهجري أقدر من غيره على الاستعداد لرمضان، ورصد الأيام البيض من كل شهر، وصيام عاشوراء شكرًا لله على نجاة سيدي موسى عليه السلام، واستذكار الإسراء

والمعراج، ومعرفة الأشهر الحرم، واستغلال رجب وشعبان، وصوم ذي الحجة ويوم عرفة، واغتنام الدهر في شوال.

بينما يُعِينُنَا التأريخ الميلادي على زيادة التَّعلُّق بأمور الدنيا دون التفكير بأمر الله وأمر قلوبنا وعلاقتنا به ﷻ، فواأسفاه، فإن هذا لهو الوهن.

قال ﷺ: "يُوشِكُ أن تَداعَى عليكم الأمُمُ كما تداعَى الأَكَلةُ على قصعتِها، قيل: يا رسولَ اللهِ أمِن قلةٍ بنا؟ قال: لا ولكنَّكم غثاءٌ كغثاءِ السيلِ تُنزَعُ المهابةُ من قلوبِ عدوِّكم منكم ويُوضعُ في قلوبِكم الوهنُ، قالوا: يا رسولَ اللهِ وما الوهنُ؟ قال: حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموتِ". [صحيح]

جانوس عند الروم إله البدايات والنهايات والمداخل والمخارج والحروب والسلام، وكان يمثل الشهر الأول من كل سنة شمسية، لأنه إله البدايات، وكانوا يحتفلون في رأس سَنَتِهِم تلك بالتَّقرُّب من إلـٰههم الذي لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، فيتقرَّبون منه بالتوسل إليه وتَمَنِّي سنة جميلة هانئة موفقة تتحقق فيها أمالهم، وينطلقون فيما تشمئِزُّ منه الأنفس من منكرات، استقبالا لهذه السنة الجديدة!

بل ينتظرون إشارة، بالضبط أعني إشارةً كالتي يتَطَيَّرُ بها بعض أبناء عصرنا، كاندلاع حريق مثلًا في هذا الشهر فيتوسَّمون شرًا في السنة كلها،

فيُلغُونَ جميع مشاريعهم وتطلعاتهم ومخططاتهم لهذا العام، وهذا في ديننا تطيّر، وإنا نبرأ إلى الله من هذا الشرك المُبِين.

وإن ما يؤلِّم الفؤاد أن بعض شباب المسلمين يحتذون حذو الروم في هذه الوثنيات وهم لا يشعرون! بل حتى أولئك الذين يريدون الخروج من المأزق الشَّرعيِّ يُوصُون الناس في ابتداء سنتهم بصلاة يطلبون فيها من الله أن تكون سنة خير علينا، ولستُ في صدد مناقشة هذا، ولكنَّ عبادةَ الله تكون كما يريد الله، لا كما تريد أنت.

المُقَاوَمَة الباسلة -رضوان الله عليهم- جعلوا من السابع من أكتوبر يوم عزٍّ وفَخَار، وهم أعلم مني بالشَّرعِ، وطالما أنهم اتَّقَوا شيئًا فالأمر إليهم وليس لأحدٍ بعدَهُمُ كَلَام، فليس يُفتِي قَاعِدٌ لمُجاهد، ثم إنهم ما استخدموا السابع من أكتوبر للتعظيم، بل هو مجرد تأريخ يفهمه العالمُ بأسره، بدليل حرصهم في كل بياناتهم على ذكر التاريخ الهجري والميلادي معًا، فالهجري هويتنا، والميلادي لغة اتصال مع العالم.

فالسؤال هنا: عندما تصدح بصوتك قائلًا "سبعة أكتوبر المجيد" وأنت تعلم أن المجيد اسم من أسماء الله الحسنى، وأكتوبر اسم وثن روماني، أتظن أنك نصرت المُقَاوَمَة الإسلامية؟ أم خذلتها بجهلك في قولك؟ أم تظن أنك لو خصَّصتَ السَّابع من أكتوبر بعبادةٍ شكرًا لله، وتستشهد بنية صيام رسول الله

ﷺ لعاشوراء، أنك خيرًا ما فعلت؟ كأن هويتك الإسلامية طُمست وأنت تلهث خلف أوثان ما علمت أنها أوثان!

أجلسُ معه فأُحَدِّثُهُ عن غَزَّة وعمَّا يجري بها وعن مسؤوليتنا تجاهها، فينفخ دخان الفيب في وجهي ويقول: "الله ينصرهم"، وهل سترفع الملائكة دعاءً ممزوجًا بهذا القرف! كُنت سأتلطف إلا أن اختناقي حبس لطفي معك!

أو تُحَدِّثْهُ عن جوعِ أهل غَزَّة وهو يمسك (بربيش الأرجيلة) فيقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله، ما لنا إلى النصرة سبيل، يزم انسَ وخذلك نَفَس عكيف كيفك".

وهو صادق، فلم يجدْ سبيلًا ينتصرُ فِيه على هواءٍ مُلوَّثٍ يُدمِّر جَسَدَه الذي يشعر به في كل وقت وحين، أَيَجِدُ سبيلًا إلى نُصرَةِ مَن لَا يَشعُرُ بِه؟ ناهيك عن بعد المسافة والغِشاوة التي تغطي عيون الناس.

من ميزات أمة محمد ﷺ أنَّها أُمَّةٌ تَفْقَهُ قولها، فإن لم تَفْقَه القول فاصمت، ذلك خير من أن تنطق كلمة لا تلقي لها بالا، ولكنك يا صديقي من أمة محمد، أمة محمد التي سبقت سواها بالعلم والعقل والفهم والوعي والحنكة، فلا تخذل نفسك، أعيذك بالله أن تخذل نفسك...

رجب

تابعت الأخبار ككل مرة، الذباب الإلكتروني من المستعربين والموساد الإسرائيلي لم يَدعوا موطئ قدم إلا وزرعوا فيه الفتنة، ما عاد الإنسان يعرف من معه ومن عليه، من الصَّادِق ومن الكاذب، الأمْرُ أَصبَحَ مُنهِكًا للجسد والعقل.

تركت هاتفي وتوجهت للمطبخ، أخذت كوبَ ماء، جلست وارتشفت رشفة واحدة، فتذكرت غَزَّة، التي لم أنسَها أصلًا، تركت الكأس ممتلئًا وأغمضت عيناي، تُرى، كيف يَرْوُوْنَ عَطَشَهُم ويُسْكِتُونَ جوعهم؟

فتحت هاتفي ثانيةً وكأنه إدمان استحوذ على دِماغي، بَيدَ أَنَّهُ يُفرِز الأدرنالين دون الدوبامين، حتى رأيتُ سيدةً تقول: "لا حَقَّ للعرب في الأقصى، نحن الذين ذدنا عنه، والحق فيه لنا"، تَذَكَّرتُ سيدي محمد الذي مُنِعَ مِنَ المسجد الحرام سنوات، ليحفظ حق المسلمين فيه إلى يومنا هذا، وتذكَّرت قوله: "من دخل دار أبي سُفيان فهو آمن"، وتذكرتُ مقولَتَه لِوحشِيّ ﷺ ساعة إسلامه: "إذا استطعتَ ألَّا تُرِني وجهك فافعل".

تَضَايَقتُ، ولكن علينا ألّا نَلُوم المَوجُوع، أَترُكُ الهَاتِفَ وأَسِيرُ فِي حَياتي أُكمِلُهَا، ذلك اليوم الذي تَعَرَّضتُ فيه لمحاولَتَيّ سرقةٍ، بعد أنْ عُدتُ مُنهَكًا وَقَد دَفَعتُ الضَّرَائِبَ وَسددتُ الأقساط، وسحبت أموالي من البنك بعدما عَلِمْتُ أَنَّهُ مُرابٍ، ضاقت بي الحياة ذرعًا، وقد خرجت من متجري للبيت مُنهكًا فعلًا

لأجد موكبًا من السيارات يحتفل بفوز المُنتَخَبِ بالمباراة، حاولت تحاشيهم لكنهم سَدُّوا الطريقَ أمامي، ورغم إغلاقي نوافذ السيارة إلا أن أصوات الصفير والمزامير تَقتَحِمُهَا عَلَيَّ، ومع إنهاكي، زارني صديق التعب والانزعاج، وبدأ الصداع، الصداع الذي لا أستطيع معه إكمال سيري.

فكَّرتُ أَن أتَّصِلَ بأسماءَ، لِتَأتِي وتُكمِلَ القِيَادَةَ عَنِّي، ولكن لا أعتقد أنها فكرة جيدة، لن يكون من السهل قيادتُها وسطَ مواكب فوز المنتخب، تَوَقَّفْتُ على يمين الطريق محاولًا استرجاع طاقتي، والمشاهد التي رأيتها في الأخبار لا تتوقف أمام عَينَيَّ، تختلط أصوات المزامير والغناء بأصوات الصرخات، وأصبحت كل الأمور تجول في رأسي كالعواصف.

قاطَعَت أسماءُ عاصفة دماغي باتصالها:

- أين أنت؟ تأخرت.

= في الطريق، الازدحام خانق.

-لا أفهم هؤلاء التافهين مع الأحداث التي....

قاطعتها: أسماء، كفي عن هذا، انتقادك لن يُغيِّر فِكرَ أَحد، الأفكار لا تتعدَّل بحوار واحد، لكلٍ مسلك وطريق، وهم أحرار فيما يفعلون، لا شأن لك بهم، فليحتفلوا كما يشاؤون، ما يَهُمُّنِي أَنَّنِي لمْ أَعُد أستطيع مُقَاوَمَة الصداع، فرحتهم حق لهم وإن كان ذلك دون مراعاة أحوال الآخرين، كمنهكٍ أَصَابَه الصُّدَاع مثلا.....سأتأخر قليلًا تجنبًا لأي مكروه قد يحصل في الطريق.

۞۞۞

أغلقتُ الهاتف معها لتظهر لي خلفية الهاتف التي وَضَعتُهَا في أوائل الحرب، كُتِب فيها: "انقَلَبت حَيَاتُنا، تَغَيَّر يَومُنا، ضاعَ نَومُنا، أنهَكَنا التَّعَب، نتابع بلا توقّف، دعواتنا لا تنقطع، اهترأت أجسادنا خلف الشاشات!!

"على رسلك! ما قَدَّمتَ شيئًا بعد! لا تدّعي تَعَبًا لَم تَذُقه! ولا تدخل في إطار المقارنات، ما عشت دقيقةً في نَفَق، ولا جاع بطنك في رِبَاط، ولا أنَّت روحُكَ اشتياقًا، ولا ارتعشت يدك عند شُرب الماء، أي تعبٍ تقصد؟ هي مجرّد محاولات ضعيفة، لنشارك معهم شيئًا من الجنّة هنا، قبل الرّحيل هناك." قصي العسيلي

كُنْتُ إذا قرأتُها سَابِقًا أستعيد قُوَّتِي وأُعمِلُ عَقْلِي، ولكن في هذه المرة لم يحدث هذا، أُنهكت أكثر من ذي قبل، أَلقَيتُ هاتفي جانبًا ووضعت رأسي على المِقوَدِ أبكي، ليس هذا أنسب وقت، ولكنني أعتقد أن هذا هو قهر الرجال الذي استعاذ رسول الله بالله منه، لَعَنتُ عيشة الذُّلِّ التي تَمنَعُنِي من فريضة الدفاع عن أعراض المسلمين وحُرُمَاتِهِم التي تُنتَهَك، لَعَنتُ الحُدودَ التي مَنَعَتنِي مِنَ الصَّلَاةِ فِي الأَقصَى رغم قُربِي مِنه، أُقَلِّبُ رَأسِي بَينَ المِقوَدِ وَمَسنَدِ الرَّأسِ خَلْفِي، والصُّدَاعُ تَزْدَادَ شِدَّتُه، والقَهْرُ تَزدَادُ حِدَّتُه، وأفكِّر في مكانِي إن مِتُّ الآنَ هاهُنَا، فَأَيْنَ أَنَا؟

۞۞۞

المقاتل الأنيق

لايزال المجاهدون يمسحون الحزن عنا، لايزالون يساعدوننا على تخطي الألم، كأنهم يُشفِقُونَ عَلَى عَجزِنَا، لَاتَزَالُ بُطُولَاتُهم تُثلجُ صدورنا، لاتزال مَسِيرَاتُهُم تَسُرُّ النَّاظِرِين إليها، تُذكرني بقول رسول الله ﷺ:

"والخيلاءُ الَّذي يُحِبُّ اللهُ اختيالُ الرَّجلِ بنفسِه عندَ القتالِ...". [حسن]

ينطلق كأبطال (السينما) الذين ظَنَنَّاهُم مَحضَ أَوهَامٍ لَا تُدَانِي الواقع بشيءٍ، تَرَاهُ مُتَّزِنٌ فِي جَريِه، أَنِيقٌ فِي لِبسِه، يَضَعُ اليَاسِينَ على كَتِفِهِ ويُفَجِّرُ، كَأَنَّهُ يَصطَادُ سَمَكَةً!

كان مُلفتًا لكل من رَآه، فمنهم من سماه غَزَّة مان، وقَسَّامِي مان، وباتمان غَزَّة، والمجاهد الأنيق، والفارس الأنيق، والمُقاتل الأنيق...

إلا أني أرفض أن أتَّبع العدو في المُسمَّيات الأعجمية تلك، رحم الله الفارس الأنيق حمزة هشام عامر (أبا هشام)، الشهيد ابن الشهيد، والبطل ابن البطل.

شعبان

مناشدات تخرج من غَزَّة إلى الأردن، أن مُسَانَدَتَكُم لَنَا اليوم سيقلب موازين المعادلة، نحن نموت جوعًا، وأسعار الطعام تزداد أضعافًا مضاعفة، يا أهل الأردن أَلَا إنزالٌ جويٌ يُدَاوي مَريضًا ويَسقي عَطِشًا ويُطعم جائعًا.

"يا أهل الأردن، عَشَمنا فيكم كبير..."

أَكُنَّا نَستَحِقُّ هِتافاتِ أهل غَزَّة لَنَا عندما وَصَلَتْهُم المُسَاعَدات؟ والله كَانَتْ مساعداتٌ لَنَا لَا لَهُم، وما كانت تلك الطُرودِ سِوى حُقُوقٍ بَل أَقَل، فَهُم دِرعُنَا الحَامِي، وهُمْ ظِلُّنَا المُمْتَدُّ.

الحمد لله الذي أكرمنا بِوَفْدٍ وَطَرْدٍ عَلَى الأَقَل، رُغمَ أنَّ ذلك لَنْ يَمْحُو عَارَ تَخَاذُلِنَا، وَلَن يَمْحُو قِلَّةَ حِيلَتِنَا، وَلَنْ يَرفَعَ قَدرَنَا.

تَصِلُ المُسَاعَدَاتُ التي نُرسِلُهَا إلى أهلِ غَزَّة، وأخجلُ أنا، تَعِزُّ عَلَيَّ نَفسِي مِمَّا نُقَدِّمُ مُقَابِلَ مَا يُقَدِّمُون، يُقَدِّمُونَ لَنَا عِزَّةً وَكَرَامَةً وفخرًا، وَنُقَدِّمُ لَهُم وَجبَةً خَفِيفَة، هذا إن صحَّ أنْ نُسمِّيَهَا وَجبَةً أَصلًا، وَإن كَانَت تَكفي عُشْر القِطَاع.

تَمَنَّيتُ لَو أَنَّ الإنْزَالَ الجويَّ كان يَحمِل ذَخَائِرَ، أو جُنُودًا، ودعمًا عسكريًا، ولكن بلا كذب، نحن لا نستطيع ذلك، فكيف نَقدِرُ على ذلك ونحن لا نَزَال فِي طَورِ الاعتِرَاضِ فَقَط، حتى حياتنا الشخصية لا نعرف فيها معروفًا ولا ننكر منكرًا، ولو كانت عندنا قوَّةُ الدين في حياتنا، لَوَصَلنا إِخوَتَنَا بِسَواعِدِنَا، ولكننا أَخْلَدنَا إِلَى الأَرض، وطَأطَأنَا الرُّؤُوسَ لِكُلِّ مَن حَاكَ لَنَا، سَوءًا لِنَنَالَ مصلحة أو شيئًا من عَرَضِ الدنيا، أو خوفًا من مخلوق لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا.

يا أهل غَزَّة.... سامحونا، ليس باستحقاقنا، ولكنَّنَا نَتَوَسَّمُ بِمُرَابِطِي عَسقَلانَ الكَرَمَ والوِدَّ، وَنَرَى فِيهِم " أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ"، ونحن منكم حتى وإن لم نكن بينكم...

۞۞۞

لايزال الاتصالُ بحازمَ منقطع، بدأت أشعر بالقلق الشديد، أيمكن أن يكون قد استُشهد؟ أُريدُ أن أعلم وحسب! أعلم أن دَمَّ أخي ليس أغلى من دم سواه، ولكن معيشة الانتظار أصعب من الأمر الواقع.

تُرى كيف حاله؟

ما كانت إلا دقائق فإذا زوجة أبي تتصل بي، رفعتُ سَمَّاعة الهاتف: ما الخطب يا أمي؟

لم أفهم الكلام، كانت تجهشُ بالبكاء ولست أفهم من الكلام المُشوَّش إلا "حازم" ففهمت الأمر.

رَكبتُ سَيَّارَتي وانطلقتُ إليها...

-ما الأمر يا أمي؟

= هل حازم مات؟

أجبتها بضحكة خَفيفَة عَلّي أُهَوّن من الأمر عليها: لا، مستحيل، تَعلَمينَ أنَّ ذلك لو حصل فسيأتيَني اتصالٌ من الوَفد مباشرة.

= حقًّا؟

بصراحة كنت أكذب فلست أعلم سبب الانقطاع في الشَّبَكَة، هل الوفد بأكمله مُعَرَّضٌ للخَطَر؟ أم أن ذلك مُتَعَلّقٌ بالشَّبَكَة الرَّديئَة هناك؟!

-بالطبع يا أمي، ألا تَرَينَ أَخبَارَ الشُّهداء تَصلُنا وإن لم نكن نعرفهم، قد سمعتك ذات يوم تُدثّرين الشهداءَ بدعواتك بالاسم، هل كنت تعرفين أحدًا منهم؟

= لا...

-بالضبط، فما بالك بابنك، حتى إن لم يصلنا منه اتصالًا، فلابد أن تَعرُّضَهُ للخطر سيجعل الإعلام يتحدث عن طبيب أردني قد تعرض للخطر.

= وماذا لو استُشهد؟ ألا يكفيني أنني فقدت أباه؟ وأن ليس لي ولابنتي سواه؟

-يا أمي، لا تقولي هذه الكلمات، فأنا معكم، وإن أتاك خبره شهيدًا، فلِمَ الحزن؟ ألا يسعدك أن تغنمي الجنة؟

= ولكنني أمٌ يا مهيار، وليتك تعلم قلب الأم.

-يا أمي، من الذي وَهَبَك حازم؟

= الله ﷻ.

-ومن الذي حفظه حتى كَبُرَ وأصبح طبيبًا مُلتزمًا يخاف الله؟

= الله ﷻ.

-أوليس الله الذي وهبك إياه وحفظه وحماه، وسخَّرَهُ لَكِ يَخدِمُك ويَحِنُّ عليك بِقَادِرٍ على صَرفِه عَنك فيكون عاقًّا لا سمح الله؟

= بلى.

-فهل برُّ حازم نِعمَةٌ من الله وفضلٌ ومِنَّةٌ مِنْه؟ أم مِن قُوَّةِ حازم؟

= بل نِعمة الله والحمد لله.

-أرأيتِ إن غاب حازم، فهل رحمة الله تغيب؟

= حاشاه، بل رَحمَتُهُ لا تغيب.

-وَنِعمَ بالله، فاسمعي يا أمي هذه القصة:" أصرَّ شابٌ على السفر لقضاء حاجة من حوائج الدنيا، ولكن الله رَزَقَهُ أمًا تخاف عليه كثيرًا، فاعترضت طريقه ومنعته من السفر، وقالت له إنها غير مرتاحة لهذه الرحلة، وإن قلبها قد ضاق لِمَا قد همَّ به ابنُها، فَتَفَهَّمَ ابنُهَا الأمر وألغى سَفَرَهُ لِيُرضِيَ أمَّه، ثم جلست الأم تتابع الأخبار، فإذا بالطَّائرة التي كان سيسافر ابنها بها أمامَها في الأخبار، وقد سَقَطَت ومات كلُّ من فيها، فحمدت الله وهرعت إلى

ابنها تقول له:" ألم أخبرك؟ الحمدلله أنك لست معهم" فلما دخلت عليه رأته ميّتًا في سريره"، فَقَدَرُ الله حَتمِيٌّ يا أمي، وأن يموت ابنك شهيدًا خير من أن يموت على فراشه.

= يعني سأذوق حسرة ابني مهما حصل؟

-يا أمي، إن الله يُعلِّمُنَا كيف نكون عبادًا له مخلصين، أما رأيتِ سيدنا إبراهيم، كاد يذبح ثمرةَ فؤاده بيده طَمَعًا برضى الله، وعلى مرآى أمه هاجر، ولكنهم جميعًا صبروا...

"فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَ تَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۝ وَ نَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝ وَ فَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ۝ وَ تَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝"

إنَّ الله يُعلِّمُنا، أعلمُ أن الأمر صعب، ولكن الله يبتلي أحبابه لِيُعلِيَ مَنْزِلَتَهم، واللهِ يا أمي لو أنَّ قُلُوبَنا تعلَّقَت بالجنة لَما أرسلتِ حازم مع الوفد الطبي، بل سترسلينه إلى الجهاد، يا أمي إن الذي يدرك قيمة الدنيا التي لا تساوي شيئًا أمام خُلد الآخرة سيرتاح، وسيتخلى عنها، أما تَرين أن أبي قد تُوفي؟ ماذا أُنزل معه في قبره سوى كفنه وعمله؟ لا شيء يا أمي، يا أمي هذه ليست دارنا.

= ولكن يا مهيار كيف يصبح إيماني قويًا كما تقول؟

- ها قد بدأتُ أطمئنُّ عليك يا أمي، العلم يا أمي، سأعطِيَكِ بعض البرامج لتُتَابِعِيهَا، وفيها علم ينفعُ بإذن الله، سَتَشعُرين بأثر العلم، فاطمئنِّي، وأَعِدُكِ أنَّكِ إن أصبحتِ ذات إيمان قوي فستقولين لحازم (حاولت تمثيل الكلام بفُكاهة تخفِّفُ عنها): "لماذا تتصل بي الآن؟ لا تَعُد إلَيَّ إلا شهيدًا..".

فضحكت، فزوَّدتُهَا ببرنامج **روى القلب لأديب الصانع، وأسماء الله الحسنى لبيسان الباز**، ولم أصل بيتي إلا وقد اشتريت لها كتاب **الترياق لأديب الصانع** ثم عدت إليها، فكانت هناء معها، فسلَّمتُ الكتاب لهناء، وأوصيتها أن تعتني بأمي التي لم تلدني.

رمضان

كانت هيئة أرسلان بثوبه الأبيض المَهيب، والكوفية البريئة على رأسه، هيئة شَيخٍ ذي رزانة، أيُقاوِمُ الأبُ ابنه بمظهرٍ كهذا؟ عانقته بشدة ثم...

ماذا عن إخوتي؟ كيف يعيشون هذه اللحظات؟ قد فارقهم من أحبابهم من فارقهم؟

ماذا عن الأب الذي سيذوق التراويح دون ابنه هذا العام؟

حتى حُبِّي لابني أصبحت أراه خيانة!

ليس البلاء فينا، ولسنا نسير إليه، وليست تزورنا معوناتُ البلاء من اللهﷻ ، فهي لأصحاب البلاء، هي ليست لمن يملكون رفاهية الهروب مثلًا!

ركض أرسلان إلى الباب يسبقنا إلى التراويح بخطواته الخفيفة التي تَسُرُّ الناظِرين، كنت أرمُقه كالمُستحي من نعمة الله، كأني لا أشعر باستحقاقي هذه النعمة، ولكن من أنا لأُحدد النعمة المُناسبة والبلاء المُناسب!!

ولعل أسماء فَهمَت خَلَجاتي في مَوقفي هذا.....

- مهيار، أرجوك لا تُثقل على نفسك، كُلُّنا في بلاء، كُلُّنا!! أما سمِعت بالخِضر صاحب موسى عليه السلام؟ أم تَرى نَبيَّ الله سُليمان عليه السلام أقلَّ الأنبياء مكانة -حاشاه-؟؟ كان أحد أعظم ملوك الأرض، وما كان مُلكه ينبغي لأحدٍ بعده!

ولكنه كان دائمًا يقول: "هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ"...

رَمقتُها بعينيَّ اللَّتين تداخلت الحُمرَةُ ببياضهما مُعاتبًا: هذا في الرخاء، وليس جوارَ ذَبِيحٍ دَمُّه مِن دَمِي!

- ما رأيك أن ندع النقاش في التفاصيل ونعود إلى الجوهر، ما الذي يُريد الله أن يراه منك الآن خاصة مع أرسلان؟

= أن ينشأ أرسلان رَجُلًا ابن رجل!

- لو كانت عَبَراتُك واستحياؤك من النِّعم سيُجدي لرأينا غير ما نرى! ألم ترَ أن الشيطان قد حقق وعده فيك؟ "وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ"...
بِصَرف النظر عن الطريقة، هذا هدفه! سواء بالنسيان أو التشاؤم أو التَّسخُّط أو الحزن، ألم تَعلم أنَّ الشيطان يفرح لِحزن المؤمن؟ ألستَ مؤمنًا؟

= لكننا في رمضان الآن، فأنَّى للشيطان أن يُحزنني وهو في الأصفاد؟

- ذكَّرتَني بإحدى المشاهير على التيك توك، أسلَمت بعد رؤيتها صبرَ أهل غزة، ولك أن تتخيَّل تأثيرها بالمُتابعين! بالله ءأنت أحقُّ بالتعاطف أم غزة؟ إن ما رأيناه من أُجور جاريةٍ لأهل غزة الأحياء منهم والأموات في

أقاصي مشارق الأرض ومغاربها يُشعرنا أننا لن نحصُل على شيء من الأجر أبدًا، قد أتعَبوا مَن بعدهم بصبرهم! ربحوا الآخرة ونحن لا زلنا نبكي على حالهم في الدُّنيا بدل مُنافستهم على الآخرة!! إن المُنافسة تشتدُّ ونحن لانزال في طَور البُكاء، وتلك المشهورة ليست الوحيدة، فقد دخل الناس في الإسلام أفواجًا، وكما هو معلوم، فالإعلام لن يُفصح عن العدد، سبحان الله! حاربوا غزة ليَقتلوا الإسلام، فامتد وانتشر حتى قَتَل كَيدهم في عُقرِ دارهم!

= لم أفهم ما عِلاقة هذا الأمر بموضوعنا!

- آه نعم، نعم.... عمَّ كُنَّا نَتَحدَّث؟؟

= هههههه، أضحكتني في وقت ضيقي والله، كنا نتحدث عن الشياطين ورمضان...

- نعم نعم تذكرت.... سأُخبرك بعد التراويح، ولكن عِدني أن نذهب إلى المخبز مَشيًا لِجلب السَّحور..

= "طَيِّب طَيِّب، أهون من صرف فلوس عالبنزين كمان..."

۞۞۞

وقفت في أوائل صفوف المُصلِّين، الحمد لله أنني وصلتُ مُبكرًا، دائمًا تمتلئ المساجد في التراويح الأولى تحديدًا، تهوي القُلوب إلى المساجد، مَهما شغلتهم الدُّنيا، ومهما ضاع عنهم طريق المسجد، لا يزال في الفؤاد شيءٌ يشُدُّك إلى المسجد.

قبل إقامة العزائم، وقبل الانشغالات المُتوقَّعة، أو اجتماع تعب الصيام والدَّوام على هذا العبد المسكين، الذي يقضي يومه طالبًا للرزق حتى ينفد كُلُّ شيءٍ فيه، قبل أن يبدأ خُلفاء الشياطين بِبَثِّ أمراضهم فينا وعرض مُسلسلاتهم، يدعوك الفؤاد إلى المسجد!

طالما كان العطش إلى دين الله كبيير، والرغبة في التَّعرُّض لرحمات الله تُحَرِّرُ القلب من قَفَصِه، فَلِمَ نَفتُرُ دائمًا؟ ألسنا نُحب الله؟ ونُحبُّ التَّقرُّب منه؟ فلِمَ نُعذِّب أنفُسنا؟ وأيُّ ظُلمٍ ظلمناه أنفُسَنا؟!!

يا رب أعلم أنّي مُقصِّرٌ في جنابك وجلالك، فارحمني واحمني من نَفسي، وارأف لِحالي إذ قَسَت عَلَيَّ نفسي، اللهم لا حول لي على نَفسي إلا بك، إني أُحبُّك يا رب، ولكنني أفشل في كُل اختبارات المحبة يا رب، يا رب سامحني، لكنك أعلمُ بفؤادي مني أني أُحبُّك، وظنّي فيك الرحمة، فنبيُّك ﷺ قال لأحد الرجال إذ لَعَن سِكِّيرًا:" لا تلعنْه فإنه يحبُّ اللهَ ورسولَه" [صحيح]

وأنا أُحبُّك وأُحبُّ رسولك، ولكنني ضعيف، أَمَا تَرأف بحالي يا أرحم الراحمين؟

قاطع ذلك الرجل مُناجاتي مُمسكًا أرسلان من كتِفِه مُبْعِدًا إيَّاه عن صف المُصلين قائلًا: " روح يا عمو ورا عند الصغار، لازم الكبار يوقفوا قدام".

تهَيَّأتُ لأُكلِّمَه أَنَّ هذا ليس من حقِّك! ولكن أرسلان سَبَقني، وأجاب الرجل بلدغات حروفه التي بالكاد تَكَوَّنت: "عمو بس أنا ما شاغبت!"

-"شو!! حبيبي خلِّصني ارجع لَورا مش فاضيلك، الصلاة حتبلِّش"

التفت إليَّ أرسلان وعيناه تفيضان دمعًا وارتمى في حضني.

- "شفت انك صغير وبتعيط زي النسوان! روح عند النسوان أحسنلك."

أردت أن أضربه أو أنهره، ولكننا في رمضان، ولن أسمح لأمثاله تضييع ما أُحاول بناءَه مع الله، ولعلَّ الله أرسله إليَّ مُمتَحِنًا، نظرت إلى أرسلان وسألته بحنان:" يابا مالك يا حبيبي؟؟ ليش بتعيط؟"

بصوت تُقاطعه شَهَقات الأطفال كلما بكوا مُمتزجًا بحروفٍ مُتقاربة المخرج، لا تكاد تفهم من قوله شيئًا: "يعني يعني هو هو بد بده يـ يكون من خير صُـ صُفوف الرجال وأنا شرّها."

- "ليش يا بابا مين قال لك هاد الكلام؟"

= ماما قالت لك هداك اليوم إنه الرسول ﷺ قال: "خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجالِ أَوَّلُها، وشَرُّها آخِرُها" لمَّا تأخَّرت عالصلاة.

تأمَّلتُ تِلك الدمعاتِ ورَنَّاتِ الكلمات، لكن أكثر ما أبهرني هو حفظه لكلام رسول الله ﷺ رُغم أنَّه لم يُوجَّه إليه!

تجاهلت ثرثرات ذلك الرجل وهمهماته وغمزاته ولَمَزاته، وهممتُ بتبديل مكاني لأنتهي منه، ولكنني تراجعت؛ هذا المسجد لو كان للناس أن تتخير بين روَّاد المساجد لَكان لِزامًا أن يختاروا الشباب والأطفال، كنت أُريد أن أقول لذلك الرجلَ إنَّ هذا الطفل الذي " بعيط زي النسوان" سترجع البلاد على يَدِه، بعد أن أضاعتها خَيبةُ خَيلِك.

ولكنني سَكَتُّ، لابد أنه يكبرني سِنًّا، ولن يُثمر قولي ذلك خيرًا، ونحن في رمضان، لا أُريد أن أسير فيه إلى ما لا يُرضي الله بقدمي.

أجلست أرسلان بجانبي من الجهة الأخرى، وأمسكت يده مُطَمئنًا (لن تكون في شرِّ الصفوف يا صغيري، لن تكون)!

۞۞۞

خدعتني أسماء، لم أكن أعلم أنَّ أرسلان سيكون نائمًا في نهاية التراويح! وإن دفعت إليها به قالت نحن القوارير ، نحن وصيَّة رسول الله ﷺ، وأنا المغلوب على أمره، لا أملِك رَدَّ وصية رسول الله ﷺ ، لكنني كنت أذكى منها، جعلتها تنتظرني في المسجد معه إلى حين إحضاري عربة المواقف الصعبة.

ذهبت إليها ضاحكًا سعيدًا بانتصاري عليها هذه المرة، لن تستطيع الاختباء خلف كلام رسول الله ﷺ هذه المرة....

وضَعَتهُ بِهُدُوءٍ وَنَظَرَت إليَّ نَظرَةً غَرِيبَةً، قلت لها: أسماء، لا تقولي إنَّك تذكرتِ شيئًا مما تشاهدين في الأخبار...

أسماء: وإن كان كذلك قد اتفقنا آنفًا أن نُقدِّم ما ينفع، والاستغراق في الشعور في مثل هذه المواقف لن ينفع!

أردتُ مُحاكاتها في تغيير الموضوعات قائلًا: لم تُخبريني بعلاقة المشاهير الذين أسلموا بالشيطان!

-نعم نعم، تلك المشهورة كانت تقول إنها تشعر أن الشيطان يزيد ساعات عمله قُبَيل رمضان، يريد أن يُبعد الإنسان عن الله بأي طريقة أو أي ثمن، سيُجنُّ جنونه إن غفر الله لأحد من المسلمين...

= لازلت لا أفهم، وما علاقة هذا الكلام بسؤالي؟

-وماذا كان سؤالك؟

= منذ ما قبل الصلاة وأنت تتحدثين وأنا أحاول الحصول على إجابة بين ثنايا كلماتك لأكتشف في النهاية أنك نسيتِ السؤال أصلًا!!

-لا تقسو على القوارير، وذكِّرني بسؤالك بهدوء إذا سَمحت..

= سألتك عن الشيطان، كيف يُمكن أن يُحزنني ونحن في رمضان والشياطين في الأصفاد؟

-إحم إحم، نسيتُ ارتداء عمامة الأزهر.... يا رجل!! وما أدراني أنا!!

= لا حول ولا قوة إلا بالله، قلتِ لي إنك قارورة؟؟ آآآآه لأقعُدَنَّ على الطريق وأشتكي...

أسماء: تستوقفني تلك الأحاديث التي تتحدث عن أفضال العشرة الأواخر.

مهيار: لِمَ؟

أسماء: باستطاعة أي شخصٍ أن يفتر عن العبادة طوال رمضان ثم يصحو في العشرة الأواخر، ويُعتق من النار وينال الأجر.

مهيار: وهل باستطاعته أن يقوم بعبادات الزُّهاد؟ وهل الطَّريُّ في الحرب كمن اختلطت أنفاسه برائحة التراب وهو يجول الميادين؟ أَمَن جرى خلف عدوّه كمن انتظره في عُقر داره؟ ليسوا سواءً، لا بخبرة هم سواء، ولا بهمَّة هم سواء، ولا بفضلٍ هم سواء، ليسوا سواءً!! أنسيتِ المُثنى يا أسماء؟ وندمه على تأجيله الإسلام! رغم إدراكه دَعوَةَ نَبيَّنا ﷺ منذ البداية! إنَّ التأخُّر والتأجيل في سبيل الله ندامة، وما أصعبها من ندامة، الصحابة كُثُر ولكن أهل بدر ثلاثة مِائَة رجل!

أسماء: ولكن كم من مُتأخِّر تقدَّمَ على من كان قبله!

مهيار: يا أسماء، إن نفحات الله تأتي على العباد، ولابد للعبد أن يتعرَّضَ لها، فإن لم يكن مُستعدًا فلن يتعرَّض لها، ألا تَرَين أن رمضان مُمتلئ بالخير والبركات، ولكن كثيرًا من الناس لا ينالونها؟

في أول يوم كان المسجد مُمتلئًا بل فاض بالمُصلين، واليوم في مُنتصف شهر رمضان تناقص العدد بشكل كبير، أتظنِّين أنَّ أحدًا منهم سيُدرك العشرة الأواخر؟ إلا إن تاب لله توبة نصوحةً وعاد. فضل العشر الأواخر كان لِمَن استطاع أن يبقى على العهد شهرًا كاملًا، أمَّا الذي كان ناسيًا لله شهرًا كاملًا، فما الذي سيُذكِّرُه بالله في هذه الأيام، قد تكون أيام استدراكٍ.. نعم، ولكن هل ستتذكر وقد سَحَرتك الدنيا؟

أسماء: أتعلم؟ أرى أهل غزة في مَصرَعِهم يقولون أين الأُمة الإسلامية، أبناء الأمة التي يطلبون لم يصبروا على صلاة وقفوا بها بين يدي الملك يطلبون حاجاتهم، أيصبرون على يوم الزحف وما فيه من ألم والعدو قاتِلُهم لامحالة؟ أهؤلاء أهل حرب؟ لِيُكون الإنسان مُجاهدًا لابد من خطواتٍ أساسية قبل حمل السلاح، نحن لَمْ نَذُقْ في حياتنا شيئًا من آهات الحرب، لَمْ ولَنْ نستطيع تخيُّل أهوال الحرب، لنْ نفهم.

مهيار: بالضَّبط، الجهاد ليس "طوشة ولاد حارة" أساسُه الإعداد، ولكن ماذا عنَّا نحن؟ ماذا أعددنا؟؟

كانت الأجواء الإيمانية ساحرة فعلًا في صلوات القيام عند الكالوتي، منعوا من دون الثامنة عشر من الدخول، طبعًا لم يستطيعوا، فذلك الشاب الذي يَرَونه قاصرًا؛ لأنه لم يصل الثامنة عشر ظَنُّوه جامعيًا وسمحوا بدخوله، أتحدَّث عن ابن عمي فادي، لم يكن يُوقِفُنَا شيء، حتى الأطفال لم ييأسوا رغم منعهم، إذ وقفوا في الخارج يهتفون معًا لفلسطين ولغزة، يُشعلون في القلب شرارة الأمل أن هذا الجيل لن يكون ذليلًا، وإن العزة بعد أنْ أُعدِمَت في أُمَّتِنا، بدأت تنمو من جديد في قلوب الأجيال تتبعها الأجيال.

تمنيت لو كنت مُرابطًا في العُقَد القتالية بدلًا من الرِّباط على سجادتي مُلتحفًا بمعطفي هنا! تمنيت لو كنت من جُملة المُتسابقين إلى الشهادة، ولكن....

أثناء وقفتنا الشعبية وكز أحدُهم الآخرَ دون قصدٍ جرَّاء التدافع، فصَرخ الآخر:" إيش مالك يا زلمة! أَحْوَل!" فرد صاحبه:" وانت مالك عإيش معصب؟"، تلاسنا وتدافعا وابتعدا، فعلمتُ أنَّ الطريق أمامَنا لا يزال طويلًا، لم يحتمل أخاه في وقفة شعبية، أيحتمِلُه عند الجوع والقصف والشدَّةِ والقتل؟ لا أعتقد، إن كان الناس في الرخاء يَقسون على بعضهم، فأنَّى لهم التَّلاحُمَ في الشِّدة؟

فإذا التفتُّ إلى اليسار وجدت النساء الكاسيات العاريات، نعم في رمضان! يهتفن لأجل القدس والتحرير، أيُّ تحرير؟ أَمَا تَتَحَرَّرن من قَبضَةِ أَفكَارِ الغرب والعَلمانية والليبرالية أولًا؟ مفهوم الحرية في هذا الزمان بات مُشوهًا تمامًا، لابد لنا من إعادة فهم مفاهيم هذا الزمان، قد تَشوَّه كل شيء، كل شيء فعلًا!!

رغم استعدادي التام لِتقديم **أسماءَ** فداءً للإسلام، إلا أنها من الأمانات التي أوصاني الله بها! فلِمَ قد أُعرِّضها لِمواقف لا تُناسبها، هل الله يرضى عنها وعني لو قدَّمتها لُقمة سائغة في فَمِ (من يَسوى ومن لا يسوى)؟ أَمَّا إنْ اصطَفَاهَا الله أسيرةً أو شهيدةً فحاشا لله أن أُخَذِّلَها، أفَرَغَتِ البِلاد من الرجال لِنَركن إلى النساء؟ وما معنى الرجولة إنْ رَكَنْتُ إلى عِرضي وحَرَمي ليُدافِعنَ عن الأرض والعِرضِ بطريقة الرجال؟

قد نبَّه الرجال أكثر من مرة على عدم حضور النساء، فَلِمَ يَحضرن؟ إلَّا إنْ كان لَهنَّ زاوية خاصة فهُنَّ مشكوراتٍ على ذلك، لكِنَّ التي تُزاحم الرجال وتُطالب بفتح الحدود بصوت يفوق صوت الرِّجال (كما نقول في لَهجَتِنا "بِثْجَعِّر جعِير")، أين القوارير؟

هل تُريدين الجهاد لأمر الله؟ فالله لم يفرض عليك الجهاد إلا في مواقف مُحددة تستلزم منكِ وِقفة رجل، كالسيدة أم عمارة والسيدة صفية والسيدة أسماء -رضي الله عنهن- فإنها لحظة تستحق التأمل، هل تُريدين الجهاد لِحَظِّ نَفسِك مِنَ الوَطَنِيَّةِ والفِدَاءِ؟ أم لله الذي لم يأمركِ بهذه الصورة من العبادة؟

كنت أسمع فيمن كان قبلنا أن جهاد المرأة في تربية أبنائها، ولكنَّنا أمسينا نَرى النساء يعملنَ في كُل شيء إلَّا تربية الأبناء، أليس هذا من المُخزِ أيها الرجال؟ أليس من المُخزِ أن تسبقكم المرأة في أعملها كأنكم بلا قيمة؟ ما هذا المجتمع بالله عليكم؟! وهل من الأنوثة أن تُزاحمي الرِّجال في مَسالِكِهم؟؟

لا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله لأُمتنا السلامة.

كِدت أفقد الأمل من هذه الوِقفات، وقررت أن أُصلي القيام في مسجد في حيِّنا، أو أقوم الليل مع أهل بيتي ككل عام، ولكنَّ مَا وَصَلنا من أهل غزة وصمودهم، جَعَلَني أشعر بقيمة هذا الحِراك، حتَّى إنْ كُنْتُ أَرَى في الوقَفات ما لا يُرضيني، ولكن لا بأس، سأُكمل في هذا السبيل الوحيد، إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولًا..

۞۞۞

صَفوة الحُفاظ

لم نَنَم بعد الفجر، كان يوم جمعة، تَناوَلنا سَحورًا نَتَقوى فيه على يومنا، وصلينا الفجر في المسجد، فإن أسماء لا تُحبُّ تضييع صلاة الفجر في جماعة في رمضان، خاصة في العشر الأواخر، تتقوى بتلك الصلوات لِعامٍ كامل...

تَذاكرنا الآيات، وذكَّرنا بعضنا بالأجر، وتجهَّزنا، ثم خَرَجنا إلى مَوقع السرد، ركبنا في الحافلة المُخصصة لِنَقلِ الحُفَّاظ، كم أُسعِدَ قَلبي بمن رأيت! رأيتُ رِجالًا تتراوح أعمارهم بين السبع والعشر سنوات تقريبًا، سَأَلهم المُشرفون: "هل أنتم ضيوفٌ أم حُفَّاظ؟"

فأجابوهم: "بل حُفَّاظ، أتينا للسرد".

دخلتُ وسَجَّلتُ اسمي بأني حافظ، ثم دخلت أبحث عن مُتطوّع أقرأ عليه حِفظي، كنت أتأمَّل في وجوه الحُفَّاظ، كان المشهد مهيبًا، بدأت أشعر بمعنى زُمَرٍ النور فِعلًا.

وجدتُ مُتَطَوّعًا أقرأ عليه، وأنهيت التسميعَ قُبيل صلاة الجمعة، اتصلت بي أسماء وأخبرتني بأنها انتهت من التسميع، ولكنها تريد المُتابعة مُتطوعةً، فأعجبتني الفِكرة وبَقينا.

صَلَّينا صلاة الجُمُعة وكانت الخطبة عبارة عن شحذٍ شديد للهِمَمِ نحو القرآن، كأن الروح ارتقت فما عادت تنتمي إلى هذه الأرض التي لم تنتمي إليها من قبلُ أصلًا، عادت الرُّوح إلى مَوطِنِها الأصلي.

كنتُ أجد أصدقاءً لي كُلَّما التفتُّ، رأيتُ أصحابًا لم أَرَهُم منذ عشر سنوات أو يزيدون، كانت المشاعر المُختلجة تكاد تفيض من الفرحة، كأننا مجموعون تحت المنابر يا رفاق، كم اللقاء بعد الفراق جميل إن كُنَّا افترقنا على كتاب الله واجتمعنا عليه، الحمد لله أني أراكم في هذه المواقف يا أحبَّة.

كان يومًا من العُمر، ليت كل الأيام صَفوة، ها نحن قد انتهينا، وانفضَّ الجَمع إلى ديارهم وصوامعِهم، وحِراكهم ووقفاته، عسى الله أن يتقبَّل منَّا، إنا إلى ربِّنا راغبون.

الحمد لله، ظهر عباد الله في الأرض بعدما ظَنَنَّهم تركوا الأرض لِمَن لا يخاف الله في العباد ولا يرحمهم!!

المُهمُّ أنك مُحتاج للحضور في صفوة الحفاظ القادم، إياك أنْ تتأخر، لا يَفوتَنَّكَ الرَّكب وأنت لا تشعر!

الشهيد بإذن الله جهاد قزاعر -رحمه الله-

كنتُ أقول لصَحبي: "يا لِسعدِ مؤسس صفوة الحُفاظ في غزة، قد يكون مُجاهدًا، أو مُرابِطًا أو رُبَّما شَهيدًا!! ولكنه نال أجرَ كُلِّ هؤلاء القوم، وكل من تأثَّر بهم، سواءً من الأردنِّ أو غزة أو غيرهم".

لا نعلم إلى أين سيمتد خير صفوة الحُفاظ، وكم قلبًا سَيَروي، يا لِحظِّه لِما أَتَاه من ثوابٍ جارٍ، فكم من مغمور في الأرض معروف في السماء، تقبَّله الله وجزاه عن هذه الأُمة خيرًا...

كنت أبحث في تطبيقات الهاتف عن تطبيق يساعدني على حفظ القرآن الكريم، وحمَّلتُ عِدَّة تطبيقات لذلك، كان من بين تلك التطبيقات تطبيق رائع فعلًا، جَذَبني أسلوبه، كان اسمه **"إتقان"** وكان تابعًا **لأكاديمية إتقان لتعلم القرآن** بحثت عن هذه الأكاديمية فوجدتها من غزة، فاشتركت في مجموعاتها وصفحاتها على مواقع التواصل الاجتماعي، أهل القُرآن لهم حيَاة مُختلفة عن هذه الحياة الدنيا، يكفي أنهم يرجون من الله ما لا يرجوه غيرهم، والله يكفي، أن الله مولاهم ولا مولى لمن عاداهم.

أثناء مُتابعتي للأكاديمية زُفَّ إليَّ خبرُ استشهاد المُؤسس، هؤلاء الصهاينة، لا يقاتلون دفاعًا عن أنفسهم، فلو كانوا كذلك فلِمَ اغتالوا شيخًا ما

أهمَّه إلا القرآنَ وتحفيظَه؟ كان استهدافهم لأهل القرآن والعلماء واضحًا جليًا لا يخفى على صاحب بَصَر!

ولكن أكثر الناس لا يُبصرون، ولايزالون يَرَون القضية الفلسطينية قضية عربية مَحصورَة بكيلو مترات من الأرض!! أَمَا آنَ لكم أن تستيقظوا!!

إن جهاد قزاعر أكبر مِنْ أنْ أكتب عنه في سطورٍ بكثير، أنا أصلًا لا أعرفه، لا أعرف سوى حُبَّه للقرآن، وحُبه لِتَكريم أهل القرآن، وما الغريب؟ هكذا هم الشهداء، إذا ماتوا ماتت معهم الدُّنيا، واقْتَاتَتْ عَقَائِدُهُم عَلَى رُفاتِهِم.

رسالتي إلى ذَوي الشهيد بإذن الله جهاد قزاعر: "إن كان بُكاؤكم عليه بُكاء فِراقٍ فهذا حقُّكم، وإلَّا فنحن أحقُّ أنْ تبكوا علينا منه، يا سَعده وهناءه، ليت عيشتنا كعيشته، أَيَبكي العاقل على شهيد مُحبٍ لكتاب الله؟ فوالله لَلْبُكاءُ على قتلى الأرواح أحقُّ من البُكاء على قَتلَى الأجساد وهم عند ربهم أحياء يُرزقون، جَمَعنَا الله به في الجنة، علَّنا نَروي له لَحظَاتِ الأُنس بكتاب الله في مشاريعَ هُو مَنْ أَسَّسَهَا، عليه رضوان من الله ورحمات، عسى الله أن يذكره بخير فيمن عنده".

شوال

لو عُرضَت صُورُ هذا الشهر في مُسابقةٍ لأجمل صورة، لرجَّحتُ أن الفوز سيكون لصورة طالب الماجستير من جامعة الأزهر، الذي يُناقش رسالته في خيمة تحت القصف وصعوبة أحوال الحرب.

وهي رسالةٌ إلى أولئك الذين ينتظرون جائحة تُصِيبُ الناس ليمتنعوا عن الدراسة وطلب العلم، **هم يعيشون معركتين، فما معركتك أنت؟**

ولا ألوم الطلاب في هذه المواقف، فالطَّالب أيًّا كان يجهل مَصلَحَتَه، ولكنَّ المُعلم الذي يُدرِّس لِيَستَلِم من المال الحدَّ الأدنى للأجور، كيف تطاوعك نفسك على تصدير الحد الأعلى من التَّمَرُّدِ والنُّفُور؟

قال ﷻ: "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"،
إنما غايتنا في كلِّ عَمَلِنا أن تكون كلمة الله هي العُليا، سواءً كُنَّا في ثغر العِلم والتَّعلُّم، أو ثغر الدعوة، أو ثغر الاشتباك..

لكن إن لم تَكُن عينك باتت تحرس في سبيل الله، فلا تتعلَّل بأنها سواءٌ مع من بَكَت من خَشيَة الله، وتَترُكُ مُقلَتَيك لا هي حَرَسَت ولا هي بَكَت... واللَّبيب من الإشارة يفهمُ.

أما عَلِمت ثغرك بعد؟ أم تنتظر من أحدٍ أنْ يُملِيَ عليك ما تصنع؟

ذي القعدة

هل ظنَّ النتن أن الاجتياح البري سيحقق شيئًا من الأهداف على أرض المعركة؟ فأصغر طفل في الأردن -الذي لم يعرف في العسكرية شيئًا- يعلم أنه كاذب.

وعشُّ الدبابير الذي ملأ جنود العدو لَسَعَات يشهد، فأيُّ جيشٍ هذا الذي يُهزم أمام مخلوق لا يصل بحجمه عُقلَةَ الإصبع!! أهذا الجيش المهزوم أمام دبُّور، يملك أمام الأُسود حِيلة في النِّزال؟ أَيَظُن النِّزال لعبة أو شجار أبناء الحارة؟

أما علِم عن المسلمين شيئًا؟ عن بأسِهم إذا نُودِي للجهاد؟ ألم يقرأ التاريخ؟ أم اعتمد على معلوماتِه الوَهمِيَّة التي اتَّخَذَها من حال المُسلمين الذين خُذِلوا من أبناء جِلدَتِهِم، ومنهم من استُشهد ومنهم من عاش بقهره، أتظنُّ ذلك دأب المسلمين؟ هه، ستعلم غدًا من هم المسلمون.

۞۞۞

أسماء: مهيار، شاهد هؤلاء، يُصاب فيَقع فينتفض ويكمل الاشتباك رغم إصابته فيُصاب حتى يَخِرَّ أرضًا، فَيَهُبُّ صاحِبُه آخذًا سلاحه، ويكمل عن صاحبه القتال، أما رأيت في ملامح وجهه سَكَرَات الموت حال وصول الرصاصة القاتلة إليه؟ أكان ذلك رحمة من الله فلا يشعر بألم رصاص العدو؟

أخذتُ الهَاتِفَ وأعَدتُ المشهد مرة واثنتين وثلاث، أحاول أن أفهم لِمَ قد يصور الاحتلالُ مشهدًا كهذا؟!

أسماء: لأنهم أغبياء، أَلَا يعلمون أننا نَتَقَوَّى بالشُّهداء وتَشتَدُّ بهم شوكَتُنَا، يظُنُّونَ أنهم سيكسروننا عندما نرى أبطالنا يتساقطون شهداء كما تتساقط حبَّاتُ المطر تروي الأوطان.

مهيار: لا، لا أظن ذلك، لا أعتقد أنهم يفكِّرون بهذه الطريقة، فلو كان العدو يفكر بهذه الطريقة السَّاذَجَة لَمَا استمرَّ الاحتلال إلى يومنا هذا.

أسماء: ماذا تقصد؟

مهيار: أقصد أن تكرارهم تصويرَ الشهداء في هذه المشاهد قد يُشير إلى تحقيق الهدف السابق، ما جعلهم يكررون هذه الفِعلة.

أسماء: وقد يكون التكرار بهدف الإيهام.

مهيار: كل الاحتمالات ممكنة، ولكن لو نظرنا في الأمر على أنه مُتعمد، واستقرأنا ما حدث عقب تصوير الشهيد الساجد مثلًا، سَنَرى أن الجميع قد استهزؤوا بغباء الاحتلال، وبحثوا عن هوية هذا الشهيد وتفاصيل حياته، وبحثوا أيضًا عن علاقته بربه، وما كان من الوقت إلا يسيرًا حتى انتشر اسم **تيسير أبو طعيمة** في كل مواقع التواصل الاجتماعي، إعجاب الناس الشديد بشخصيَّات الشهداء وبطولاتهم وفضولهم تجاه معرفة كلِّ ما استطاعوا معرفَتَه عن الشهيد، ستجعل وصول الاحتلال إلى معلوماتهم أسهل، والمعلومةُ في الحرب يُدفَعُ ثَمَنُهَا مالًا، فما لهم لا يحاولون الحصول على معلوماتٍ مجانية؟

أسماء: أيُعقلُ هذا؟

مهيار: ممكن، ولكني أرى الأحوَطَ أن ندعو للشهداء بألقابِهم: "الشهيد المُقبل، الشهيد الساجد، ..." حتى لا نكون سببًا في فتح باب المعلومة المُيسَّرة للاحتلال.

۞۞۞

في مجازر رَفَح ما عادت الرواية تُجدي معي نفعًا، فهاكُمُ القرائح:

إنْ كانَ رَبِّي فِي الكِتَابِ يَحُضُّكُم ... أنْ رَابِطُـــوا وَتَثَبَّتُوا وتَصَبَّرُوا

مَاذا عَسَى مِثْلِي يَقُولُ لِمِـــثْلِكُم ... فَالقَولُ يَـــصمِتُ والفِعَالُ تُقَرِّرُ

لَو كَانَت الدُّنْيَا تُسَـــــاوِي ذَرَّةً ... فَهُنَيْهَـــــةً لَو تَعلَمُونَ تُحَرَّرُوا

مَا ذَاقَ ظَالِمُنَا الهَنَا فـــي أَرضِنَا ... وَهَوَى المُنَافِقُ بِالفَنَـــاءِ يُغَرَّرُ

لا تَرتَجِفْ أو تَرتَعِد فِي ذا الوَغَى ... يا صَاحِبَ الـعِزِّ الأَبِـــيِّ القَاهِرُ

إن كُنتَ فينَا هَاهُنَـــا مُتَقَـــدِّمًا ... فَلَأَنْتَ أَوَّلُنَـــــــا بِيومٍ نُحشَرُ

وَعَدَ الرَّسُولُ بِوِردِ مَاءِ الكَوْثَـــرِ ... وَلِمِثْلِكُم فَخرًا يُنَـــادِي الكَوْثَرُ

فَاضَتْ قَرَائِحُنَا بِفَيضِ دِمَاكُـــمُ ... فَمَتَى نَفِيضُ إليـــكمُ ونُحَرَّرُ؟

فَمِنَ النُّزُوحِ إلى النُّزُوحِ حَيَاتُـكُم ... يا ضِيقَكُم أو وِسعَـــكُم فَتَذَكَّرُوا

فِي عُمْقِ وَادٍ غَيْرِ ذِي زَرعٍ دَعَتْ ... سَبْعًا سَعَتْ بَينَ المَصَاعِبِ هَاجَرُ

فَالصَّبْرُ يَأتِي بِالعِبَـــادِ جَمِيعُهُـمْ ... وَيَسُوقُ خَيرًا بِالقَلِيـــلِ يُفَجَّـــرُ

أَشْبَعتُمُونَا مِن دُرُوسِ كَـــــرَامَةٍ ... وَبِدَمِّكُم تُربُ البِـــــلادِ يُطَـــهَّرُ

أَتْعَبْتُمُونَا بَعدَكُم يَـــا صَـفْـوَةً ... فَبِـأَيِّ صَبْرٍ بَعدَ هَـــــذَا نُؤجَرُ

يَا سَعدَكُمْ، بل يا سَعَادَتَنَا بِكُـــم ... يـا ظَهْرَنَا يا سِرَّنَا والمَهـــــجَرُ

لا يَسحَرُ القَلبَ المُحَصَّنَ بـالهُدَى ... إلا شَهِيـــدٌ بالدِّمَـــا يَتَعَـــــطَّرُ

والمِسْك يَنثُرُ فِي القِطَـاعِ رَذَاذَهُ ... وَيُغَادِرُ الكَفَنَ الصَّفِيَّ الأَحمَـــــرُ

يا رُوحَ عِيشَتِنَا الكَئِيبَةِ هَـاهُنـــا ... وَحَيَـــاةَ أَحـــلَامٍ تَكَـــادُ تُدَمَّـرُ

أَنْعَشْتَ أوْرِدَةَ الفُؤاد بِمَـــا رَأَتْ ... طَمْأَنْتَ قَلْبًا ثُـــمَّ جَـادَ الأَبْهَـــرُ

لُو ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْنَا مِـــحنَةً ... وَبِوِسعِهَا عِندَ الحُثَالَةِ تَجْهَـــــرُ

سَتَرَى السَّمَاءَ تَكَادُ تُطبِقُ فَوقَهُم ... وتَرَى الرِّجَالَ عَنِ المَذَلَّةِ حُوصِرُوا

أَفَتَبْنِ فِي بَحرِ الإلـــه سَفِينَةً ... مُستَـــعصِمًا وَظَنَنْـــتَ أَنَّكَ تَقْدِرُ

أَبْشِر بِمَوجٍ حَائِـــلٍ مِن بَيْنِنَـــا ... لَا عِصمَةً لَكُـــــمُ وَرَبِّي آمِـــرٌ

يا أَهْلَ غَزَّةَ مَا المَعِيشُ مَعِيشُنَـا ... فَغَدًا نَرُوحُ وَيَبْقَـــى بَعدَنَا أَثَـــــرُ

فَعَشِيَّةً سَنَرَى الجُنُودَ مُبَعثَـــرٌ ... وَنَرَى اليَهُودَ بِنَصرِنَا يَتَقَهْقَـــــرُ

وَسَيَعتَلِي التَّوحِيدُ في كُلِّ الوَرَى ... وَسَيَعظُـمُ الإســلامُ فيها ويَكْبُرُ

اجْثُو عَلَى رُكَبٍ أَيَا نَتِنَ اليَهُــو ... أصبَحتَ صُرصَارًا أذَلُّ وأَحقَرُ

نَزَلَتْ بِكَ اللَّعَنَاتُ فاختَرتَ الغَبَا ... وَسَعَيْتَ كَالحَـــــيَوَانِ لَا تَتَفَكَّرُ

فَإذَا رَأَيتَ الحَرقَ يُعجِبُكَ اللَّظَى ... وَتُعِيدُهَا أُخـــــرَى لِيَفخَرَ هِتْلَرُ

صُدِمَ الجُنُونُ برُعنِ مَذهَبِكُم بِهِ ... تَرِثُونَ أَسْوَءَ ظُلْمَـــةٍ وَتُكَرِّرُوا

إنَّ الصَّهَـــايِنَةَ الذِيــنَ تَعَوَّدُوا ... قَتْلَ النُّبُوَّةِ وَالحَقِيــقَــةَ زَوَّرُوا

ظُلِمُوا بِقَولِهِـــمُ بِـــحَقِّ مُحَمَّدٍ ... لَكِنَّهُمْ سَفِهُوا وَلَـــــنْ يَتَغَيَّرُوا

فَوَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ إنْ لَمْ تَـــنْتَهُوا ... سَنَجُزُّ أَعنَـــاقًا بِـــذَاكَ وَنَنْحَرُ

لَا تَحسَبَنَّ رِجَالَ اللهِ غَافِلَـــــةً ... بَلْ جَهِّزُوا لَكُمُ المَقَابِرَ واحفِرُوا

رنيم صوالحة [4 ذي القعدة 1445هـ]

عطشان؟

"خليك عطشان" لم أعلم أين انتشر هذا الإعلان، ولكني ضحكت كثيرًا عندما سمعتُ به، أكان ذلك غريبًا وسط الغضب الشعبي جرَّاء هذا الإعلان؟

يا مسكين إننا نقرأ في سورة الشعراء " وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ"، هذه السورة التي أراها سورة المعجزات.

إنه أمر مُبررٌ لأولئك؛ فهم لا يُبصرون المعجزات، ولا يفقهونها، فكيف يفهمون أن منتجات العدو في الطعام كالزَّقُومِ؛ لا يسمن ولا يغني من جوع؟ وما يُشرب منها كالحميم، تشوي البطون شَوي الجحيم، يُخَالِطُ طَعمَهَا دمٌ زكيٌ تخجل الأرض أن تبتلعه!

والأمر الأكثر فكاهة، هو صدمة الشعب بمن نقضوا المقاطعة وعادوا إلى منتجات العدو يُعلنون لصالحها، ماذا تنتظرون؟ هل تنتظرون مِمَّن سَاهَم في إغفال الأمة وتَغيِيبِهَا عن قصد أو دون قصد أن يُبالوا لدمٍ يُراق؟

أَمن ضَعُفَ أمام مُقاطعة ما يُغضب الله، سيَقوَى على مُقَاطَعَة ما يُغضب الناس أمام مُغرياتٍ أُخرى؟

لو ظَنَنتَ لوهلة أن المُقاطعة محصورة بالمنتجات والسِّلَعِ المادية، فحالك مُثير للشَّفَقَة، فكل شيء ماديٌّ طُبع عليه تاريخ انتهاء صلاحية، كالمقاطعة تمامًا، ولكن المُقاطعة القاطعة التي لا انتهاء فيها، هي مُقاطعة الفِكرِ الفَاسِد، فالذي قاطع الفكر الفاسد لن يعود إلى سِلع العدو أبدًا، ومن لم يُقاطع سوى السلع المادية، تَرَاهُ يَدعُو الله ليلًا نهارًا أن تنتهي الحرب؛ ليعود إلى ما كان عليه مُتَقَلِّبًا بين بضائع العدو في الأسواق، ومواقع التواصل، والشوارع.

على الضِّفَّة الأخرى من المشهد، تجد المُقَاوَمَةَ كاتبةً رسالةَ اعتذارٍ في أحد البيوت لِشُربِ المُجَاهِدِينَ الماء، وهم الذين حَمَوا الدِّيَار وذلك أدنى حقٍ لَهُم، وأكلِهم بضعَ تمراتِ البيتِ ليَتَزَوَّدُوا بها على القتال.

هنا يظهر من يَتَفَحَّصُ للتقوى سبيلًا، ويظهرُ من يَتَّقِي التَّقوى، فيبتَعِدُ عنها ويسير خِلَافَها، ذلك بأنَّه عَلِمَ أنَّ مَقَامَهَا أَعلَى مِن أَنْ يُنسَبَ أمثالُه إليها.

وكل إنسان في الحياة يبحث عن قيمته، فلِمَ تلومون الرخيص على رُخصه، خفِّفُوا العتاب عليه، إنه مسكين!!

ذي الحجة

" السلام عليكم، أخي الحبيب مهيار، أمّا بعد:

إن كنت تقرأ رسالتي هذه، فهذا يعني أنَّنِي قَضَيتُ نَحبِي من هذه الدنيا، إنَّك لم تَغِب عَن بَالِي لَحظَةً، ولم يَغِب عني حرصك الشديد على الجهاد، وأرجو أن تكون عرفت سبب إصراري على عودتك إلى الأردن.

مهيار، لقد قابلت أخاك الطبيب حازم، وأخبرته أنك قد اقترضت مني مبلغ أربعة ألاف دينار، وسألته إن كنتَ قد أَعطَيتَه شيئًا مِنها، فَأَخبَرَني أن المبلغ معه بالتمام والكمال، وبدا مستبشرًا لأنه عرف السبب الذي أعطيته المال لأجله.

كنت مصدومًا فعلًا، فإني أعلم أنِّي لم أُقرِضكَ شيئًا، وَأَرَدتُ أنْ أَشرِكَكَ الأجر في الحاجة الملحة للمال في قِطاعنا في هذا الوقت، وكنتُ خائفًا جدا من الحرج، فكيف عرفت أنني بحاجة أربعة ألاف دينار؟ بل كيف عرفت أنني سألتقي حازم؟ أم ذاك تيسير من الله وفضل منه ورحمة من رحماته التي عوَّدنا عليها سبحانه.

مهيار، اعلم أن ما أنا فيه الآن قادم إليك لامحالة، لكنك تختار الطريقة، وأحبابي كُثر فلن يصل دورك في الشفاعة إن تَقَبَّلَنِي الله، ولا أُرِيدُ أن أكون في الجنة دونك.

ولا تنسَ أنني لست أدري موئلي إلى الآن، فلعل الله يتَقَبَّلُكَ بصدق ما في فؤادك فتشفع أنت لي!

مهيار، ما عاد للإسلام سوانا مذ قضى محمد ﷺ نحبه، فإن تركتُ أنا التضحية للدين، وتَرَكتَهَا أَنتَ، فمن سيُقِيم منهج محمد ﷺ الذي كان رحمة للعالمين؟؟

في العالم كثيرون يعيشون في ظلام دامس، يحتاجون نطق الشهادة لتُنِيرَ لهم الحياة، وآخرون نطقوا الشهادة ولكن ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَت، وسُلِبَت منهم عقيدتهم ودينهم سلبًا، فإن لم أقف أنا وأنت دون العقيدة فمن ذا الذي سيقف؟

لا تنسَني من دعواتك بالرحمة، فأنا في أشد الحاجة إلى رحمة الله، فنحن أهل القبور لا نبحث إلا عن رحمة الله، جمعني الله وإياك في الجنة.

أخوك المُحب: أحمد"

تأمَّلتُ الورقةَ كثيرًا عندما وصلتني، فقد وصلتني من أحد أعضاء الوفد الطبي، طرق باب المنزل وسلَّم علي وأعطاني ظرفًا فيه رسالتان، الأولى من أحمد، فهل يُعقل أن تكون الثانية وصية حازم وأنه استُشهد!!

شاهدة عيان 1

"بعد عدَّة سنواتٍ من الآن ربَّما سيتغيَّر المنهاج الفِلَسْطِينِيّ، ستتغيَّر كتب التَّاريخ تحديدًا، فيصبح على الطُّلاب أن يحفظوا تاريخًا جديدًا، السَّابع من أكتوبر في السَّنة الثَّالثة والعشرين بعد الألفين، ولربَّما ستضاف أسئلةٌ جديدةٌ إلى بنك الأسئلة:

- اذكر السَّبب/ قيام معركة طوفان الأقصى؟

- ما النَّتائج المترتَّبة على/ معركة طوفان الأقصى؟

لعلَّني قد استفضت بالإجابة عن السُّؤال الأوَّل في أولى كتاباتي، لكنَّ إجابة الأخير ستكون بامتلاك فلسطين ليومَيّ استقلال!! أحدهما أكذوبةً كبيرةً، وآخر يمثِّل اليوم الأخير من طوفان الأقصى، هروبٌ جماعيٌّ لقطعان المستوطنين، ذلك أن لا أحد يدافع عن أرضٍ بروحه وماله إن لم تكن أرضه، يستطيع المرء أن يرى بوضوحٍ من هو الصَّاحب الشَّرعيُّ للأرض، من الَّذي يهرب، ومن الَّذي يصمد؟!

قرأت إحدى المقولات الَّتي كان فحواها:

" إن توحَّش العدوُّ فاعلم أنَّه يلفظ أنفاسه الأخيرة "

وبلا إسهابٍ في محاولات إيصال الصُّورة نستطيع أن نرى وحشيَّته، بلا وسائل إعلام حتَّى، فمن منَّا لم يعلم عن محرقة رفح؟ جنوب القطاع، من منَّا لم يرَ الرَّجل وهو يحمل بقايا جسد طفلٍ بلا رأسٍ، أو تلك الجثَّة المتفحِّمة حدَّ التصلُّب، بكميَّاتٍ مهولةٍ من المتفجِّرات فوق مخيِّمٍ صغيرٍ للنَّازحين، أمست الخيام رمادًا ولا أبالغ، قال أحدهم:

- لقد خرجت لأجلب الطَّعام لأطفالي، فعدت ولم أجد الأطفال، لم أجد المخيَّم.

وذلك الطِّفل الَّذي يقف خارجًا بلا حيلةٍ وهو يشاهد والده داخل الخيمة يحترق حيًّا:

- أبي مات، خذوني إليه.

صرخ بها من بين دموعه الَّتي ألهبت وجنتيه، حفرت أخاديد حمراء مسودَّةً فوق خدَّيه، وبين جسده الَّذي شُلَّ عن أيَّة حيلةٍ، وجهه محتقنٌ حدَّ الاحمرار، يرتجف غضبًا وحقدًا أو خوفًا لست أدري، ليس له سوى الوقوف والمشاهدة، والبكاء، قال أحدٌ آخرٌ في اليوم الَّذي يلي المحرقة، أنَّه عثر على جثَّة طفلٍ كان رفقته البارحة يبحث عن والدته داخل الخيام الَّتي تنير السَّماء في نيرانها وسط حلكة اللَّيل، " امتلك شجاعةً لم يمتلكها أيًّا منَّا، عثر على خيمة والدته، دخل إليها ليخرجها من ألسنة النِّيران الَّتي أكلت الأخضر

واليابس ولا زالت، فتعانقا بعناقٍ أخيرٍ، حتَّى أنَّنا وجدنا الجثَّتين متلاصقتين متفحِّمتين "، ليت الشَّجاعة لم تزره، احترق المخيَّم بالكامل فامتلأ الهواء برائحة شواء البشر، وبأبخرة الشَّهادة، ذلك كلُّه تحت أنظار العالم، العرب، والمسلمين.

ثمَّ إنَّ الحقّ يُقال، تداول العرب نشر صورةٍ لا شكَّ وسبق أن رأيتموها -All Eyes On Rafah-، لقد اكتفَوا بهذا الإنجاز، أيجوز رشقهم باللَّعنات رفقة الصَّهاينة؟

لم تُشبع هذه المحرقة إدمان العدوّ على رائحة الموت، فقام بأخرى صباح اليوم التَّالي مباشرةً، جثث النِّساء مترامية داخل الخيام، ولكنَّ الخيام لم تحترق، لقد اكتفت هذه المرَّة بالوقوف شاهدةً على جثث ساكنيها وهي مسجَّاة أمامها أو داخلها، لا أعلم تحديدًا ما حدث، لكنَّني رأيت الأجساد تنزف حتَّى الموت، والآن أتجوز اللَّعنة؟

ليس بعد...

قُبَيل أيامٍ قليلةٍ، على لسان إحدى النَّاجيات:

- كنت رفقة الجارات نجلس على باب المنزل ونتبادل أطراف الحديث، ولا أعلم كيف ومتى، فقد فاجأني زوجي بقدومه راكضًا يصرخ بنا " إلى الدَّاخل، إلى الدَّاخل، اجتياحٌ برِّي " هرع الجميع إلى منازلهم إلَّا عائلتي،

فسقف منزلنا ضعيفٌ متهالكٌ من (الزينقو)[2] احتمينا تحت سقف منزل والد زوجي، وطفلاي التَّوأمان يقبضان على أطراف ثوبي، تكدَّس النَّاس في منزل والد زوجي، فالمساحة الَّتي لا تكاد تكفي الاثنين، أصبحت تكفي لعشرة، وأصوات الرَّصاص والقذائف تصيب الآذان بالصَّمم تأتي تباعًا، تمترست الآليات المصفَّحة أمام المنزل، بعد أن ذهب اللَّيل وحطَّت الشَّمس رحالها، قال والد زوجي " على واحدةٍ من النِّساء الخروج برايةٍ بيضاء "؛ فتقدَّمت زوجته وأخرجت يدها من حافِّة الباب تلوّح بخرقةٍ بيضاء، لكنَّ أحدًا لمَّا يلتفت إليها؛ فغيَّرنا الخطَّة وقرَّرنا الخروج نحن النَّساء خروجًا جماعيًّا علَّ ذلك يمنعهم من تصويب بنادقهم إلى رؤوسنا، ترأَّست الفوج وخرجنا رافعات الأيدي، تقدَّم أحد الجنود يخاطبنا بلكنته العربيَّة الركيكة:

- بقي رجالٌ في المنزل؟

أجبناه بنعم، فنحَّونا جانبًا وأُمرنا بخلع الحجاب، ماذا ترون أنختار حياتنا أم حياءنا؟!

نعم لقد خلعناه لكنِّي رأيت أنَّهم لم يلتفتوا إليَّ فأعدت ارتدائه بعد ثانيةٍ من خلعه، جعلوني أقذف بهاتفي بعيدًا لأنَّ رنينه أزعجهم، فهمستُ بأذن ابن أخٍ لزوجي:

---

[2] ألواح من الصَّاج

- حالما يسمحون لنا بالرَّحيل وتعمَّ الفوضى اجلب الهاتف.

هزَّ رأسه موافقًا، جلسنا تحت قيظ شمس حزيران ثلاث ساعاتٍ متواصلةٍ من السَّادسة حتَّى التَّاسعة صباحًا، أخرجوا الرِّجال وجرَّدوهم من الملابس، وذهبوا بهم إلى المعتَقل، وأخبروا واحدةً من نساء الحارة بطريق الخروج من قريتنا الَّتي نعرفها ولا نعرفها من السَّواتر والجبال الرمليَّة الَّتي أعملوها في الطُّرقات، جلب الطِّفل إليَّ الهاتف، مشيت رفقة والدة زوجي وطفليَّ التوأمين، لا أعلم هل أحملهما أم أساعد والدة زوجي حتَّى تستطيع تسلُّق السَّواتر الرَّملية لنهرب؟ اللَّه يعلم كيف استطعت المواصلة إلى أن خرجت من القرية نحو شارع صلاح الدِّين، الَّذي لا يحتوي سوى على متاريس الاحتلال، وكلَّما مررت بجنديٍّ أخبرته جاهدةً بالإشارة والكلام أن يفهم أنَّنا أُمسِكَ بنا بالفعل وسُمح لنا بالتَّحرك مسبقًا، فيجيبني أحدهم:

- روخ روخ، امشي (روح أي اذهب)

لا أعلم من أين هبطت لنا سيَّارةً تقلُّنا من ذلك الشَّارع الَّذي يخلوا من أيِّ كائنٍ حيٍّ سوى الجنود ومجنزراتهم، فأخذَنا لمطنقةٍ آمنةٍ، تواصلتُ مع أخي فأتى وأخذني إلى منزل والدي:

- تركنا تحويشة عمرنا من النُّقود، وحفنةً من ذهب زفافي، لقد تركت منزلي وزوجي، وخرجت بملابسي وهاتفي وابني وابنتي.

ماذا الآن؟ هل تجوز اللَّعنة؟

ليس بعد...

إن لم أستمع لقصَّتها؛ فلَمْ يَكُنْ الخوف ليتملَّكني اليوم، بتفاصيل تشابه بداية قصَّتها كنت أغسل الملابس في يوم المياه كالعادة، ثمَّ توالت أصوات الانفجارات، بشكلٍ مفاجئٍ للجميع، اجتمعنا في منتصفِ المنزل، بعد إصرارٍ شديدٍ على أخويَّ لإيقافهما من نقل المياه من الشَّارع إلى المنزل؛ فهو يومٌ واحدٌ أسبوعيًّا نحصَّل المياه فيه، وارتدينا أغطية الرأس تحسُّبًا لاجتياحٍ برّيٍّ، كانت الطَّائرات تُغِير على ارتفاعِ شجرة سرو جارنا أبي محمَّدٍ، لربَّما لو دقَّق أحدنا النَّظر لرأينا عيني قبطان الطَّائرة، والدي ووالدتي على سطح المنزل، يشعلون النِّيران ويخبزون العجين، فوق رأسيهما الطَّائرات، ومن أمامهما وخلفهما ويمينهما وشمالهما قذائفَ من سلاح الجوّ والبرّ، استطاعوا بشكلٍ ما إنهاء الخَبز، وقدموا إلينا في منتصف المنزل، تذكَّرت قصَّة المرأة، فذهبت وجلبت حقيبة الأوراق، واحتفظتْ والدتي بالنُّقود، استطاع صهرنا أن يحسب من طَّائرات (الهيلوكوبتر) خمسًا، وامتلأ الشَّارع بأصوات الرِّجال:

- "أبي اختبئ هناك (كواد كابتر)".

- "زوجتي وأولادي لقد استشهدوا"

ذات الشخص الذي سمعنا صراخه في أول أشهر الحرب عند استشهاد والدته.

وآخر يصرخ " إبراهيم " ووالدة إبراهيم تولول، يبدو أنَّه كان يلعب في الشَّارع ولم يعد، الدَّبَّابة تبعد عن منزلنا شارعين، ومحرقةٌ جديدةٌ قد لاحت في الأفق، وأشلاءٌ في السُّوق، ودخَّانٌ يكتم الأنفاس، وركامٌ ينتشر في الطُّرقات، والشُّهداء تخطَّوا المئتين ولا إسعاف، ولا تجد ألسنتنا تفتأ عن الدُّعاء: "سبحان الَّذي لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء وهو السَّميع العليم"، "اللَّهم رُدَّ كيدهم في نحرهم"، "اللَّهم إن كان هذا الثَّمن تذكرة دخولنا للجنَّة فنحن راضون"، وصيغٌ أخرى لا أقدر على سردها كلها هنا، ولله الحمد والمنَّة انتهت العمليَّة العسكريَّة، لكَ أن ترى علامات القهر تغطِّي ملامح أخويَّ، فلقد انقطعت المياه تزامنًا مع انتهاء العمليَّة، بقذيفةٍ جوّية أرادوا قطع الطَّريق بها قطعوا خطَّ المياه الرَّئيسيّ الَّذي يغذِّي حارتنا، لقد فقدنا نصيبنا الأسبوعيّ من المياه، يبدو أنَّنا سنعتمد على الخزانات الَّتي يضعها بعض النَّاس في الطُّرقات صدقةً جاريةً، وأقربها يبتعد عنَّا ما لا يقلُّ عن عشرين مترًا، إلى أن تصلحه البلديَّة، انتهت العمليَّة لكنَّها تركت أذيالًا، خلَّفت ورائها أطنانًا من الزَّنَّانات و أصوات تبادلٍ للرَّصاص من طرفٍ واحد بين الفينة والأخرى، وقذائفَ من سلاح الجوّ أو البرّ تأتي على حين غفلة، ما يُتَداوَلُ عن استطاعة العدوَّ تحرير أربعةٍ من الأسرى، وآخرون قضوا خلال العمليَّة، قتلوا منَّا فوق المئتين في سبيل أربعةٍ منهم!، استطاعت ذاكرتي المنهكة أن تجلب بعضًا من مقتطفات مشهدٍ قديمٍ يشابه هذا، اجتمعنا في منتصف المنزل، عندما كانت الكواد كابتر تنتشر في شوارع حارتنا بشكلٍ

كبيرٍ، وأصوات الرَّصاص يرتدُّ عن الجدران، والهرج والمرج منتشرٌ بين أبناء الحيّ، أتجوز اللَّعنة الآن؟!

ليس بعد...

قبل فترةٍ ليست بعيدةً من الزَّمن زرنا عمَّتي شقيقة والدي، زوجة الشَّهيد أمَّ اليتامى، سلكنا طريق البحر نحو مخيَّمات النُّزوح في مدينة دير البلح، على أقلِّ تقدير كانت ثلاث ساعات من السَّير مشيًا على الأقدام ذهابًا وإيابًا، ألديكم الطَّاقة لسماع مزيدٍ من القصص؟!

عند وصولنا بكت وبكينا، أجلستنا في خيمة الضُّيوف، ونسفنا لتراتٍ من الماء، لنبلِّل شيئًا قليلًا من أفواهنا الَّتي جفَّت، ومعرفتنا بأنَّ مياه الشُّرب لديهم كانت مجانيَّة خفَّفت من شعورنا بالثِّقل، استطاع سؤالٌ غير مقصودٍ من أخي لعمَّتي نكأ جراحها من جديدٍ، وأعادت علينا سرد القصَّة الَّتي سردَتْها مرارًا وتكرارًا كما أعلم يقينًا، مرَّ على وفاة زوجها ستَّة أشهرٍ أعتقد لكنَّ مآقيها لم تجفَّ بعد، قُصِفَ البيت المجاور للبيت الَّذي كانوا فيه نازحين، طار أحد أعمدة الإسمنت وجثم فوق زوجها، وانهالت الجدران فوقها ونار الموقد أمامها وأنبوبة الغاز جوارها لكنَّها وبإحدى الطُّرق سلَّمها الله بلطفه، وقد نجت واستشهد زوجها، نالت نصيبها من الإصابة كسرٌ في الظَّهر، وجرحٌ طويلٌ فوق يسرى عينَيها وآخر في يدها، تركها زوجها رفقة ستَّةٍ من الأبناء ونزوحٍ وظهرٍ مكسورٍ، تقطن الآن بخيمةٍ وتتدبَّر شؤون من بقي من عائلتها بشكلٍ ما،

في طريق عودتنا رأينا خيامًا تنتشر على امتداد الطَّريق وسُمِّيت بأسماء من قبيل: **حلَّاق، وصيدليَّة، ونقطة مشفًى، وكافيه**..... ولو صوَّبت عينك نحو اتَّجاهٍ آخرٍ سترى **نقطة تبريدٍ**، أترى؟ نحن شعبٌ يعشق الحياة عشقه للشَّهادة، وإن سألتني كيف جمعنا حبَّهما في نفس القلب، فسأجيبك بالمقولة المأثورة لعليٍّ بن أبي طالب - رضوان الله عليه -: "اعمل لدنياك كأنَّك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنَّك تموت غدًا ".

والآن، لا أعلم ماذا تبقَّى لبعد حتَّى تجوز اللعنة؟"

الثاني من ذي الحجة 1445هـ

التَّاسع من يونيو 2024م

بقلم: مرام بخيت-غَزَّة.

۞۞۞

فرعون في رفح

إنَّ من أشد المشاهد قسوة علي في الحرب، محرقة رفح، ذكَّرَتْنِي بماشطة ابنة فرعون قال رسول الله ﷺ:" مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بي برائحةٍ طيّبةٍ، فقُلْتُ: ما هذه الرّائحةُ يا جِبْريلُ؟ قالَ: هذه ماشِطةُ بِنْتِ فِرْعَوْنَ، كانَت تَمْتَشِطُها فوَقَعَ المُشْطُ مِن يَدِها، فقالَتْ: باسْمِ اللهِ، قالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ: أبي؟ قالَتْ: رَبِّي ورَبُّك ورَبُّ أبيك، قالَتْ: أقولُ لأبي؟ قالَتْ: قولي له، فقالَ لها: أَوَلَكِ رَبٌّ غَيْري؟ قالَتْ: رَبِّي ورَبُّك الَّذي في السَّماءِ، قالَ: فأَحْمى لها بَقَرةَ نُحاسٍ، فقالَتْ: إنَّ لي إليك حاجةً، قالَ: وما حاجتُك؟ قالَتْ: أن تَجمَعَ عِظامي وعِظامَ وَلَدي، قالَ: ذلك لكِ علينا لِما لكِ علينا مِن الحَقِّ، فأُلقِي وَلَدَها في البَقَرةِ واحِدًا فواحِدًا، فكانَ آخِرُهم صَبِيًّا، فقالَ: يا أُمَّه، اصْبِري؛ فإنَّكِ على الحَقِّ."

إن لم يُقَس الإيمان بهؤلاء فبِمَن يُقاس؟

"السلام عليكم، أخي الغالي مهيار، أمَّا بعد:

أرجو من الله أن تكون بخير وأن تكون أمي وهناء بخير، ليتك تعلم كم أنا قَلِقٌ عَلَيهِما، أَعلَمُ أنَّك تبحث في ثنايا الرسالة عما يُطمئنُك عني، اطمئن فأنا حيٌّ أُرزَق، ولكنَّنِي أُصِبتُ بِشَظِيَّة إِصَابَةً خَطِيرَة، قد تُسَبِّبُ لِيَ الإعاقة الدائمة، ولكن ذلك يطيب لي في سبيل الله.

لا أعلم إن كنتُ سأَعُود أم لا، من الصَّعب أن أعرف، ومن الصعب أن أتصل بكم، لكنني لن أُفَوِّتَ أيَّ فرصة للاطمئنان عليكم وطَمأَنَتِكُم علي.

مهيار، إياك أن تظن أن دَمِي أغلى من دَمِّ أَصغَرِ طفل مسلم، ولا تَقُل هذا طَبِيبٌ يَنْجُوا الناسُ على يده، وهذا طفل وما من حيلة في يده، بل اعلم أنَّ العِلَاجَ مُعَطَّلٌ لديَّ إلا بمشيئة الله، ودعوة طفل مسلم خلا قلبه إلا من الله قد تُنقِذُ أُمَّةً بأَسرِهَا، فإنَّ إبراهيم عليه السلام كان أُمَّة مذ كان فتًى، أمَّا أنا فأمري إلى الله، فادعو لِيَ اللهَ أنْ يُثَبِّتَنِي ويَأجُرَنِي عَلَى مَا أَصَابَنِي.

وإنْ سَأَلَتكَ أُمِّي عن طَعَامِي، فَقُل لَها بَأَنِّي سَمِعتُ:" أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَن طَعامِ المُؤمنينَ في زمنِ الدَّجّال، قال: طَعامُ الملائكةِ، قالوا: وما طَعامُ الملائكةِ؟ قال: طَعامُهم مَنطِقهم بالتسبيحِ والتقديسِ، فمَن كانَ مَنطِقه يومئذٍ التسبيحَ والتقديسَ، أذهَبَ اللهُ عنه الجوعَ، فلم يَخشَ جُوعًا."

لم يخرج الدجال بعد، ولكننا نقاسي أيامًا كأيامه، إني أسبِّح رَبِّي وأذكُرُه فأَشبَع، والحمد لله، فإن قلت لكم بأنَّ الله معي، فهل بعد ذلك خوف عليَّ؟؟

المُشتاق لدفئكم: حازم"

مُحَرَّم

كان الخبر كالصاعقة على رأسي، مُحال، إنَّهم يكذبون، تلك مجرَّد إشاعة، لا يمكن، مستحيل، كيف؟؟ كيف تقولون إنَّ إسماعيل هنية قد استُشهد!!

بملامحَ مُكذِّبَةٍ، وعبرات ما استطعت كتمانها، نظرت إلى أسماء فهزَّت رأسها بأسًى، قائلة: بلى، لقد استُشهد...

دخلتُ في دوامة بكاءٍ يعلم الله بها، تملَّكتني الرغبة في الانتقام! ثم عُدت وتماسكت وهمست في نفسي: يا مهيار، إن الله يحب الألفة بين عباده، ولكنه لا يقبل في العمل شريكًا، فإن انتقمت فهل ستنتقم لأجل أبي العبد؟ أم لأجل الإسلام؟ فإن كان ذلك للإسلام، فما بال الشُّهداء الذين سبقوه؟ أليس لهم نصيبٌ في القَصَاص؟ أَلَم يَقُل القائد العاروري بِأَنَّ دِمَاءَ الشهداء سواء؟ فما بالي أراك اليوم تُفرِّق بينهم؟

يا الله! تحدَّثوا فيك ما ليس فيك يا شيخنا، قذفوك بما ليس فيك، واتَّهَمُوك بما ليس فيك، قد أُوذِيتَ في الدنيا كثيرًا، آن لك أن تلتقي بربك، آن أن تستريح في رُقادك، لم أُقابِلْك في حياتي، ولم أعرفك شخصيًا، فما لِلدُّمُوعِ تتسابق حزنًا عليك؟

أعلم أن المُقَاوَمَة ما انتهت باستشهادك، ولو كانت كذلك لانتهت منذ تسعين سنة، ولكنَّ القلب يحزن، والعينُ تدمعُ يا أبا العبد تدمع!

لَمْ يَكُنْ حزني عليك مؤقتًا، فرغم مضي أشهر على استشهادك، إلا أنني لازلت أبكي كلما رأيت صورةً لك، كان من الصعب عليَّ أن أتَقَبَّل استشهادك، لا أعلم أيُّ قبول وضعه فيك ربِّي يا أبا العبد!

أوجعتنا، والله والله أوجعتنا، أوجعتنا يا قائدنا، أوجعتنا يا رئيسنا، أكتبُ كلماتي هذه ولا تغيب عن ذاكرتي صُوَرُك، صورة الرصيف عند المعبر، وصورة مُصحفِكَ في الطائرة، وصورة نومك على الأريكة بالملابس الرسمية، حُقَّ لك فقد تَعِبتَ!

لازال صوتك تُغني "ماضٍ وأعرفُ ما دربي وما هدفي" يجول في خاطري، لايزال صوتك تقرأ القرآن إمامًا في أحد مساجد غَزَّة يتردد في مسمعي، لا زال شموخك عندما زُفَّ إليك أبناؤك يُبهرني...

كم تساءلتُ يا أبا العبد عن أولئك الذين طعنوا فيك، هل مازالوا على طعنهم وقد سرتَ تتفقد الجرحى من رَعِيَّتِك في موقف تعجز فيه الأقدام عن حمل صاحبها؟؟

وما شأننا بهم؟ سَبَقتَهُم إلى الله الذي تجتمع عنده الخصوم، أنت عند ربك، وليس يضرك من تحدث عنك، ولكنه يضرنا نحن، ألا يحق لنا أن نتألم منهم؟ وقد ذموك على أسماعنا بعد مماتك؟

قتلوك في مُحَرَّم يا أبا العبد، قتلوك غدرًا، قتلوك غدرًا يا قائدنا.

اللهم تغمده برحماتك، وأكرمه بفيض رضوانك.

۞۞۞

لا أعتقد أن صلة الأرحام مناسبة في كل وقت، فاليوم على ما فُجِعتُ، جاء أبناء عمي يزورونني بلا موعد سابق، لَمْ أستَطِع إكرامهم، بل لَمْ أستَطِع النظر في وجوههم، لَمْ أَكُنْ أُرِيدُ سوى خُلوةٍ أبكي بها وحدي، أليس من حقي؟

كانوا يتحدثون في أمور كثيرة، وأنا في عالمي بعيدًا عنهم تمامًا، أُفكِّرُ في الحياة الدنيا، ومعجزة الموت، وغرابة الحياة، واختلاف نواحيها، تفكُّرٌ أنغمس فيه كلما مات أحدٌ أعرفه شخصيًا، تُرَى كيف يعيش أولَ أيامه هناك؟ ومتى سألحق به؟ وكيف سأموت أنا؟ ما آخر آية قرأها في نفسه قبل موته؟ ما آخر رجاء غلف فيه دعاءه الأخير؟ ولو كان أحد ختم حياته بدعاء لأجل دنيا، هل سيكون على ما طلب من ربِّه نادمًا؟ أم أنَّ الله سَيُلهِمُ عِبَادَه دعاء الآخرة في هذا الموقف؟

هل كانت مناجاته الأخيرة تشبه مناجاة آسيا زوجة فرعون؟ تُرى ما آخر سرٍّ حدّث الله به؟ كيف كانت آخر صلاة صلاها؟ هل شعر بقرب أجله؟ ماذا كان يُخطط لِغده؟ ما آخر عمل عمله؟ وما آخر ذكرٍ رطَّب لسانه به؟ والآن، كيف حاله هناك؟ هناك حيث لا يعرف أحدٌ من الأحياء شيئًا عن هناك، إلا ما أخبرنا به الله ورسوله، من المؤكد أنه قابل أصحابه، أحمد ياسين والرنتيسي والجعبري والعاروري، لابد أنه سعيد مع أبنائه وأحفاده، الحمد لله، ارتاح الكاهل مما كان يحمل من همِّ الدنيا.

نحسبه كذلك ولا نُزَكِّي على الله أحدًا، فعلى ما يَخلُفُ الموتَ من ألِم في نفوس الأحياء، إلا أنَّه هَزَّةٌ عنيفة، تُوقِظُ ما رقد في النَّفْسِ من أمر الدنيا، فلسنا كلنا كأبي عبيدة عامر بن الجرَّاح إذ قال لصاحبه: "هي أيام ونمضي...".

قاطَعَنِي أبناء عمي يسألون عن رَأْيِي في الأمر...

- أي أمر؟

تضاحكوا وتغامزوا وقالوا: "شكلك متكاتل مع مرتك".

فضحكت تلك الضحكة الصفراء ليفهموا "نكتة سامجة".

فقال أحدهم: ستكون حفلة نجاح عماد في التوجيهي يوم الخميس، نريد حفلة تأتي بالشَّريدِ من صَخَبِهَا، ولكن فادي يقول إنك لن تكون معنا، صحيح؟

نظرت إلى عماد وسألته: هل ستكون إسلاميَّةً تليقُ بِطالبِ عِلمٍ خرج من صرحٍ علميٍّ وسيدخل إلى صرحٍ علميٍّ؟

فادي: يا زلمة على هالعلم اللي بناخذه، كله حكي فاضي، وبعدين طول السنة الحزين بدرس عشان بالآخر نغنيله إلا صلاتي ما أخليها!!

ضحك الجميع ونظراتي الجادة لم تتغير، التَفَتُّ إلى فادي وقلت له: لم أُوَجِّه السؤال إليك، فمسألة عدم حضوري لحفلك محسومَةٌ لا مَحالَة، لا تتدخل فيما لا شأن لك به.

ثم حوَّلت نظري إلى عماد، الذي يعلم أنه لن يسلم من لساني لو حاول الاستهزاء كغيره، قلت: هل ستكون إسلامية تليق بطالب علمٍ خرج من صرحٍ علميٍّ وسيدخل إلى صرحٍ علميٍّ؟

عماد: لا أعلم، أهمُّ شيء أن يجتمعَ الجميع ونفرحَ سويًا، لا يهم كيف ستكون الحفلة، المهم أن نفرح وحسب.

فادي: مهيار أنت لا تأتي....

فَزَجَرَ أكبَرُنَا فَادي لِوقَاحَتِه، لكنَّنِي استدركتُ قائلًا: تِكرم، طالما كنتَ موجودًا فلن آتي.

عماد: لا يا مهيار فادي يمزح وحسب.

مهيار: هذا مزاح يليق بصاحبه السخيفِ في المدرسة الإعدادية وليس معي، لو كان رجلًا فلن يمزح بقولٍ كهذا.

فادي: يا سيدي حقك على راسي، لكن فهّمني، ما مشكلتك مع الأغاني؟

غَزَّة تموت منذُ عشرة أشهر ثم يسألني عن الأغاني، القائد إسماعيل هنية استُشهد غدرًا ثم يسألني هذا الولد عن مشكلتي مع الأغاني، أخي مُصابٌ بشظِيَّة ستتسبب بإعاقة دائمة ثم يسألني عن الأغاني، أدعو الله كل يوم أن يجعل لي سببًا في الجهاد ثم يسألني عن الأغاني، يعلم تمامًا حرمة الأغاني بالدليل بل ويُقنِعُ من لا يقتنع ثم يسألني عن مشكلتي مع الأغاني، تتصاعد الأرواح في كل لحظة إلى السماء ثم يسألني عن الأغاني، بل ويقول:" يا زلمة الناس وصلت القمر وانت لساتك بهالمخ المعقد!".

-يا مسكين، طوى الأبرار سِجِلَّاتِ أعمالهم ونالوا الشهادة، ووصلوا السماء السابعة ثم تسألني عن الأغاني، وتتباهى بوصولٍ كاذب إلى القمر؟

إن العلم إن لم يُطَبَّبْ بالدين الحقّ، أمسى بنا عين الجهل، والله المستعان.

يا لصعوبة الموقف، في يوم نجاحه يُصاب برصاصة طائشة، ويتناوب عليه الناس في العناية المركزة، أَفَقِهَ الآنَ قِيمة النَّجاح؟ أَعَلِموا الآن كيف يشعر الفاقد إذا سَمِعَ المعازف؟؟

على العموم، لا تقلقوا عماد حيٌّ يُرزَق، وما كان ذلك إلا نبأً كاذبًا من ابن الجيران المشاكس عندما قَلِقَ الأهل عليه لتأَخُّرِه وعدم ردِّه على هاتفه، ولكن ماذا لو كان ذلك حقيقيًا؟

أَنَنتَظِرُ مصيبةً كَتِلكَ لِنَصْحُو؟

صفر

بدأت أنظار شعبنا تتحول باتجاه الصُّوَرِ المُعلَّقة في الشوارع، إنَّها الانتخابات النيابية، والدعايات الانتخابية لا تتوقف، وعلى عكس كل دورة انتخابية، قررت أن أُدلِيَ بصوتي هذه المرة، فناهيك عن معرفتي الشخصية بالمرشحين وثقتي بهم وبأمانتهم وعقيدتهم، كنت أظن الأمر هذه المرة مختلفًا، فمعركة طوفان الأقصى قَلَبَت العديد من المعايير، وقد تصدَّرت جبهة العمل الإسلامي بجدارةٍ هذه المرة، وتأمَّلنا بهم خيرًا، فلعلَّ الله يُصلح على أيديهم ما لم يُصلحه غيرهم.

هنا تلتقي مع انتهاء الانتخابات مشكلة الهجوم الكبير على المناهج الدراسية وما بها من إغفال للهوية الإسلامية على وجه الخصوص، ولَمْ يَكُنْ هذا غريبًا بالنسبة لي، فالمناهج التي تَفصِلُ مادة الدين عن سواها من المواد، لن أتفاجأ بأيِّ جَدِيدٍ يَطرَأُ عليها.

غضبٌ عارمٌ عمَّ أوساط أولياء الأمور، ولكن الغضب لم يتعدَّ مواقع التواصل الاجتماعي، رغم أن أولياء الأمور يفهمون الخطر المحدق بعقائد

أبنائهم، أعتقد أن هذه إجابةٌ كافيةٌ لِمَن يتساءل عن السبب الذي يمنع الشعب الأردني من النفير.... أو على الأقل، هذه قناعتي.

كلُّ الشَّعب اليوم ينتظر مجلس النواب وعَلَّقَ الآمال عليه، وقد مضى شهرًا كاملًا ولم يُسمع لهم رِكزًا.

وهذا ليس تشكيكًا في جدوى الانتخابات، على العكس تمامًا، فالانتخابات واجب وطني على كل مواطن يحمل همَّ بِلَاده على عاتقه، ولكنه تَشكِيكٌ بمنظومة العدالة على هذه الأرض.

أعلم أنِّي تَأَخَّرت، فعدالة الكوكب سقطت في أول اختبار لها، بعد قصف الصهاينة للأطفال والنساء والمدنيين العُزَّل والتَّجمُّعَات السَّكَنِيَّةِ، وسقطت في أول مَنعٍ لِمُتطلَّبَات الحياة الأساسية عن غَزَّة، وحِصَارِهَا حِصَارًا لا يقوى عليه أشدُّ رجال العدو بأسًا، ولو كان كرامبو أو سوبرمان أو باتمان أو سبايدرمان، الذين حاولوا رسم القوَّةِ فيهم على مدى عقودٍ، على الأقل يمكنك أن تُبعد هؤلاء الأبطال المُزَيَّفِينَ عن شاشة التلفاز، ولكنك لن تُبعِدَ سَبَّابَة المُلثَّم عن شاشتك أبدًا، فلو عَددنا أولئك الأوهام من جملة الأبطال، فليس كل الأبطال سواء.

العجوز الشمطاء

"عندما حُرق الأقصى لم أنم تلك الليلة، واعتقدت أن إسرائيل ستُسحق، لكن عندما حلَّ الصباح أدركت أن العرب في سبات عميق".

جولدا مائير-21/أغسطس/1969م

لا بأس في سُبات المسلمين ذاته، إنما المُصيبة في إكمال سُباتهم، فرسول الله ﷺ ما احتاج إلَّا إلى 23 عامًا ليُنشئ خير القرون، ليُنشئ الصحابة، أيُعقل يا أمة محمد أن يمُرَّ 55 سنة، يعني ما يزيد عن ثلاثة أجيال، ولم نُنشئ أنفسنا على شيء؟ وعلَّقنا آمالنا على شخص مجهول، وابتعدنا إلى الدُنيا قائلين: "إن شاء الله ترجع أيام البلاد"، دون أي محاولات واقعية! وما قامت حياتنا إلا على الأماني، وهذا بَدَهِيّ، فَحَصرُ العلم بشهادة، وحصر العلم الشرعيّ بأهل الدين، جعلنا نظن أننا فُقَاعَة، حتى أصبحنا كذلك فعلًا.

صَدقت تلك العجوز الشمطاء وهي كذوبة، عندما قالوا لها متى ينتصر المسلمون عليكم؟ قالت: "عندما يكونون في صلاة الفجر كصلاة الجمعة"، ولا أظنُّها بلا عقلٍ إلى الدرجة التي تُفصح فيها للمسلمين بهذه الطريقة السهلة ظاهريًا، ولكنه انتقاصٌ واستهزاء، أنَّكم يا مسلمون تنامون عن صلاة الفجر بِعَظَمَتِهَا التي تعرفون، فلأيّ عَظَمَةٍ بعدها تستيقظون؟

ولعلَّ ذلك إشارة إلى أنَّ الذي يبدأ يومه بانتصار، لن يُهزم بَقِيَّتَه!!

أظن أن السبب أمسى واضحًا وراء مجزرة الفجر في مُحرَّم، أولئك الذين يقومون ويقعدون ويُصلُّون ويتقلَّبون عن أيمانهم وشمائلهم منتصرين، سيُمَرِّغُونَ أُنُوفَ عَدوِّهم بالتراب ويسحقونهم سحقًا، إنهم لا يحسبون اليوم واليومين، إنهم يحسبون العقود.

وإن تصريحات جولدامائير تدل بوضوح على الأهداف الدِّينِيَّة اليَمِينِية، وأن فُرسان الهيكل ليسوا وليدِي اليوم والليلة، والحرب في فلسطين مُخطئ من قال أنها ضدَّ العرب، الأمر أكبر من ذلك، ولكن عقلي وعقلك أيها المواطن البسيط، لا يستطيع استيعاب هذا العالم الكبير.

فاعلم أننا لو كنَّا نُقاتل اليهود لأجل الأرض فقط، فإبليس أولى بالقتال من اليهود، فالصهاينة أخذوا أرضًا من الأرض، وإبليس أخرجنا من الجنة.

بحقِّ الله كُفُّوا عن الشِّعاراتِ القومية العربية التي تكسوها الحمِيَّة، واهتفوا لإعلاء كلمة الله، لسنا بحاجةٍ إلى أحد، نحن بحاجة إلى الله، كُفُّوا عن استعطاف من لا يخاف الله ولا يرحمنا، ولا تجعلوا من بصيص العزةِ ذلًا، فإن أبيتم فادعوا الغرب إلى الإسلام، خير من دعوتهم إلى القَضِيَّة الفِلَسْطِينِيّة، التي لا تسمن ولا تغني من جوع!

ربيع أول

كنتُ أحتسي الشَّاي بعد الإفطار، مع أمي وزوجة أبي وهناء وأسماء، حتى قالت هناء بسعادة: يا جماعة، حسن زُمَّيرة فطس.

فسُمعت همهمات الحمد، فارتجلت أسماء تُخاطب هناء: اسمه الشهيد سيد حسن نصرالله، تأدبي في ذكر الشهداء.

هناء: الله أعلم بالشهداء من غيرهم، وكيف تجمعين سفاحًا قتل ألوف الأطفال في سوريا مع موكب الشهداء؟؟ أفلا تعقلين؟

-بل اعقلي أنت، وماذا صنع أهل السنة لفلسطين، سوى هتافات فارغة، ودعوات من قلوب آثمة، أولئك الذين لم يُحركوا ساكنًا، أينال نائم في فراشه الشهادة، ومن حمل روحه على راحتيه يموت بلا ثمن؟

= أنصحك أن تراجعي دِرَاسة الولاء والبراء، لأن الواضح أنك لا تعرفين من هذه العقيدة شيئًا..

-وهل تَرَينَنَي أَتَمَلَّقُ الرَّوافض وأتّبعهم وأتبنى فكرهم؟ إنهم حُلفاء ولن أفرح مع النتن ياهو لسبب واحد.

= حقًا! فإذا نَزل الغيث فإياك أن تفرحي، قد يكون النتن ياهو سعيدًا به فتصادفي سعادته!

- أتستهزئين؟؟

= أنت من بدأ بذلك..

- هذا شأنُك، ولكن ما أعرفه أن المُقَاوَمَة التي تُقدِّم قادتها في الصَّفِّ الأول لن تُهزم أبدًا، وأن صالح العاروري وإسماعيل هنية وحسن نصرالله سيُنقَشُونَ فِي ذاكرة التاريخ نقشًا.

= أتجمعين القائدين الشهيدين العاروري وهنية في صفٍ واحد مع قاتل الأطفال في سوريا ولبنان؟

- ولِمَ لَمْ تتحدَّثِي عن السُّنَّةِ الذين قَتَلُوا بعضهم في سوريا ولبنان؟

= ومن قال أن السنة قتلوا؟ وهل تعلمين ما كان يجري في سوريا؟ لا يعلم بأمر سوريا إلا الله، وما من عاقل يقول أنَّ أَهل السنة نَكَّلُوا بأَحَدٍ في سوريا، فقد اجتمعت قوى الشيعة وروسيا وداعش والنظام العَلَوي والدُّرزِيّ وما أُفني إلا أطفال سوريا الذين كانوا يُقتلون بطريقة وحشية، لو أني وصفتها لك فلن تجدي النوم لأسبوعٍ كامل لمجرد الوصف!!

ـ أنت قلتِ ألاَّ أحدَ يعلم بما كان في سوريا، فكيف تحكمين على طهارة أيادي بعض السنيين من الدماء البريئة؟!

= إن كان السنيّ قاتلًا فقد عصى ربه وأوجب العذاب على نفسه، أما الشيعة وغيرهم فعقيدتهم تأمرهم بقتل أهل السنة، فَشَتَّان ما بين هؤلاء وأولئك!

فصرختُ فِيهِما: أسماء وهناء، لا أُرِيدُ أن أسمع هذا الكلام الفارغ.

فتقاطعت الأصوات في محاولاتٍ للدِّفَاعِ عن النفس والفكرة، فتابعتُ بِحزم: على الأقل احترما وجود الكِبار في الجلسة، ولا ترفعوا أصواتكم فوق أصواتهم، مُنذُ متى يكون الجدال في أَمرِ أَحَدِهِم أهمَّ من الاحترام والتَوقِير! أتَترُكَانِ ما عليكما للتَّفَيْهُقِ بما لا علم لكما به؟

أسماء: ولكن يا مهيار أخاف على هناء أن تكون ممن خذلوا المُقَاوَمَة في حين نُصرَةِ مَن تَشمَتُ بِهِ لَهُم!

هناء: وما علاقة هذا بالمُقَاوَمَة؟!

قلتُ بحزم: كفى...

قالت أمي: أسماء وهناء يا حبيباتي، الأمر ليس مقتصرًا على كِبارٍ يجلسون في الجلسة، الأَولَى بِنا أن نَرُدَّ الأَمرَ إلى الله ورسوله،

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ..."، فالأَولَى بِكُمَا أن تَبحَثَا عَمَّا صَنَعَ رسول الله ﷺ لنقتدي به.

أسماء: صحيح يا أمي، ورسول الله ﷺ تحالف مع الكفار، ولم يُحَرِّم التحالف معهم، ونحن كذلك.

هناء: هذا مخططٌ أمريكيٌ، يريدون شدَّ اللِّجَامِ على المسلمين ليظهر الشيعة الروافض وينشروا التَّشَيُّعَ فِي بِلاد أهل السنة، والله إنهم لَأَشَدُّ وأنكى من اليهود والنصارى.

أسماء: بل هم واليهود والنصارى على نفس الشاكلة...

هناء: أرأيتِ؟ قُلتِها بلسانك.

أسماء: وهل أخبرك أحد أنني تشيَّعت؟!!

هناء: بل تدافعين عنهم...

أسماء: القوة الآن في يد أهل السنة، والقيادة منهم فَلِمَ لا يكون الطَّمَع في إسلام الروافض بدلًا من تَشيُّع المسلمين؟

هناء: لأن العقائد لدينا مُهتَزَّة.

أسماء: فليذهب كلٌ بِعَقِيدَتِه، وليبقَ أولوا العقيدة الحق بيننا، لابد أن يُغربل الناس...

هناء (مُعاتبة): هذا ما خَلَصتِ إليه؟ أَلَسنا أَتباع من أُرسل رحمة للعالمين؟

وقفتُ وصفَّقتُ بإعجاب، وكنت مُعجبًا حقًا، فرغم الصوتِ العالي إلا أني اطمأننت أن الشجار يدور في دائرة آمنة، ولن ألوم إحداهن على ما قالت، أنهيت تصفيقي قائلًا: نَجَحَ الصَّهَاينة في خِدَاعِنَا واجتِرَارِنَا إلى جدالات لا تُسمن ولا تغنِ من جوع، ولَفتِ انتباهنا عن الأساس في المعركة، تلك الحركة الخبيثة التي يتَّبِعُهَا الاحتلال في كل مرَّة يَمُرُّ بمأزقٍ فيها، إنَّ قَتلَ حسن نصرالله ليس سهلًا، واستهداف أي شَخصٍ آخر أسهل وأقل تكلفة منه، ولكن النتائج الشعبية التي ستتشرب الفتنة ستكون رائعة بالنسبة للاحتلال، بل وقليلة التكلفة مقابل المليارات التي أنفقوها لتسفيه عقول الشباب المسلم.

قبل عامين ماتت شيرين أبو عاقلة، واختلف المُسلمون في التَّرحم عليها، رغم أن عملية قتلها كانت مُدبرةً بشكل دقيق، فلِمَ قَتَلَ الاحتلال النَّصرَانِيَّة ولم يقتل زميلتها المُسلمة؟؟ إلا أنَّ الحقَّ كانَ جَلِيًا، فلم يختلف أحد ممن يجتهد في الحديث الصادق عن الدين في إقرار إجرام العدو وهمجيته، وتحريم الترحم عليها، رغم حزننا أن نفسًا ضاعت منا، وبالأدلة القاطعة من

أحاديث رسول الله ﷺ، ولكن الحاجة إلى الفتنة اليوم أشد من المرة السابقة، فالاستهداف كان ضد علمٍ من أعلام المُقَاوَمَة بصرف النظر عن فكره، ولا أتحدَّث الآن بحلال أو حرام، بل أتحدث عن منهجيَّة فِتنَةٍ يسير عليها بنو إسرائيل مُنذُ زَمَنٍ بعيد، سياسة فرِّق تَسُد، سياسة أفسِد المجتمع وانشر فيه الفِتَنَ لِتُسَيطِر عليه بسهولة، وهذا ليس لمجرد استقراء تاريخهم، بل العهد القديم الذي يَدَّعُونَ أَنَّه التوراة التي أُنزلت على موسى (وسيدي موسى والتوراة بريآن منه) يوصيهم بذلك، يوصيهم بالإفساد، طالما سيوصلك الإفساد إلى خدمة مصالح اليهود من بني إسرائيل!

لا يَهُمُّنِي مَصِير حَسن، كان علينا أن نتجاهل الخبر تمامًا منذ البداية، وكل من له رأي في الأمر كان لابُدَّ أنْ يحتفظ به لنفسه، ولا يُسهمْ في إشعال لهيب الفتنة بين المسلمين، وكان علينا أن نحرص على نشر الدين المُستقيم، بدلًا من الرُّدُودِ والهَجَمَات والجِدالات التي لا تُولِّدُ سِوى الضَّغَائِن، والأَوْلَى بمن يُجادلُ أن يَتَعَلَّمَ أُسلُوبَ الحوار الإسلامي، وأُسُسِ الجدالِ بالتي هي أحسن، وليس المؤمنون يَنسَونَ آيات ربهم في موقف كهذا، فأين نحن من آية:

"مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ

فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا"؟

أمُّ حازم: اسمعا قول **أحمد السيد**، فما علمت عنه إلا الخير، وأظنه ذا قول سديد ولا أزكي على الله أحدًا.

مهيار: لن أسمع ساعة إلا ربع يا أمي، أُرِيدُ ملخصًا..

أم حازم: اصطبر واسمع، لن يكون النقل كما الأصل.

https://youtu.be/7gVw40lXb9Y?si=ZzDAKK0Nzdsp3leG

وهذا القول لتفهم لا لتتبنى جانبًا في الشجارات، افهم واصمت، فعِلمُك الذي ما بَلَغَ النِّصَاب وما حال عليه الحول لا زكاة عليه.

شِعاب مكة

لأوَّل مرة في حياتي أشعر برغبة حقيقيَّة مُلِحَّةٍ أن أغلق هاتفي وهواتف البيتِ كُلِّه وأُغْلِقَ بَابُ البيت ولا أَخرُجَ منه ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

إن أَمرَ الحَربِ يَنتَقِلُ مِن خَانَةِ الغِربَالِ وتَصفِيَةِ الناس إلى خانة الفِتنَة، وكيف لا تكون فِتنَةً وكلُّ مَن رأى أحدًا يختلف معه في الرأي اتهمه بالخيانة في أحسن الأحوال، والكُفر أحيانًا أخرى!

استطعت أن أمنع أسماء وهناء من الشِّجَارِ في هذا الأمر، فقد أَقسَمتُ عليهما أنَّ كلامي من كلامهما حرام، واجتِمَاعِهِمَا أَيضًا حرام، إن دَانَيَتَا هذا الأمر، وما أُلجِمَتَا إلا بهذا.

يلوم الناس بعضهم على التَّخَاذُل وأنَّ الأُمَّة كُلُّهَا غثاءً، ونَسِيُوا أنَّ تَحَوُّلَ الحالِ لا يكون إلا بانتزاع الوهن، **حب الدنيا كراهية الموت**.

الأمر بسيط، ولكن استعظام النَّوازِلِ، جَعَلَ الإنسان يُفَكِّرُ بِمَا لَا يَقْدِرُ عليه، كأنَّهُ سَيُدَبِّرُ الأمرَ وَيُنهِي الجَدَل.

وَنَسِيَ هذا الإنسان أن للكون ربٌّ يَحمِيه، فرُغم جاهلية عبد المطلب إلَّا أنَّه فَقِهَ نَفسَه وأَوصَلَ رِسَالَةً "أنَّني لست ضعيفًا لِأَدَعَ البَيت الحرام، ولكنني لو جَابَهتُ أبرهة فمعركتي خاسرة؛ كَما خَسِرَ قَبِلي قَبِيلَيِّ خَثعَم، ولِيَعلَمَ العرب جميعًا، أنَّ الأَمَاكِنَ المُقَدَّسَةَ يحميها ربُّها وإن كان حُرَّاسُهَا مُستَضعَفِين في الأرض"، استعاد عبد المطلب إبِلَه مِن أَبرَهَة رُغمَ إعجَابِ أَبرَهَةَ به، ورُبَّمَا لو طَلَبَ مِنهُ الرُّجُوعَ لَرَجَع، فقد أُعطِيَ عبدُ المطلبِ هَيبَةً، ولَعَلَّ ذَلِك إِشَارَةٌ إلى أبرهة أنْ الزَمْ حَدَّك، هِبْتَنِي وأَعَدتَ إِلَيَّ بَعِيرِي، فكيف تَفقِدُ عَقلَكَ ولا تَهَابُ رَبَّ البَيت؟

وَلَستُ أُقَارِنُ حَالَنَا بعبد المطلب، فنحن مسلمون، وهو لم يُدرك الإسلام، والمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ولكنَّ الشَّاهِدَ في المِثال، ألَّا يَتَوَانَى المَرءُ فِيمَا استطَاعَ، مِن تَحرِيرِ العِبَادِ والبِلَادِ وقَتلِ الفَسَاد، وألاَّ يتوانى فيمَ أمره الله به، فلم يأمُر الله بما لم يَسْتَطِعْهُ الإنسان.

أمَّا تَغيِيرُ الأفكار للأمة بأكملها وتَكفِيرُ الطرف الآخر أو تخوينهم لأجل اختلاف الفكر وحسب، فهذه خارجة عن قدرة الإنسان، وليس للإنسان بها سلطانًا، ولن يجني الإنسان منها سوى تحطيم نفسه.

فاسلك يا رعاك الله سبيلًا بين الشِّعاب، والزم ثغرك واستقم كما أُمرت، لا كما رغبت...

ولا تحقِرَنَّ مِن الشِّعَاب شيئًا، ففيها حُوصِرَ رَسُولُك ثلاث سنين، وفقد جرَّاءها زوجه وعمه، ومنها كانت فتوحاته بعد عقد من الزَّمَان.

إنَّكَ حين تنتصر على مسلم في الجدال والتخوين، إنما تنتصر لِعَدُوِّك، وتُمَهِّدُ له الطريق إليك لِيَقطِفَ رَأسَكَ بِرَوِيَّة.

انتصر بالعلم والسبابة والذِّرَاع، أمَّا الخَوضُ فِي غير ذلك فما هو إلا حُرُوبٌ بين المُسلمين تُسعِدُ بها بني صهيون.

۞۞۞

شاهد عيان 2

"في مشهد سينمائي والغبار يكتسح الفضاء، السماء حالكة، لها صورة باهتة شوهتها الذاكرة، فتاة ترضع طفلها وتقبض على يد زوجها، ترضع طفلها الدموع رفقة الحليب، حدقتاها ترتجفان هلعًا، وشدة قبضتها تزداد قوة، وأكوامًا من الدموع كانت قد تكونت بالفعل فوق جفنيها، الغبار غطى أطراف ثوبها، وبلحظة عابرة التفتت للخلف تبحث عن والديّ زوجها، وعينيها متسعتان عن آخرهما، رأت مسارات ضوئية تنير السماء، لونها البرتقالي يتناغم بشكل جيد مع حلوكة السماء في منتصف الليل، القذائف تحيل الليل نهارًا وتسمح لهم برؤية طريقهم لإكماله، وتحصد في طريقها عددًا من الأرواح، عن اليمين نساء وعن اليسار رجال وفي الخلف شيوخ وفي الأمام أطفال، وفي الأحضان الرضع منهم، المشهد يوحي بشكل مباشر لصخب وهرج ومرج من أصوات الناس، لكنه ليس كذلك في الحقيقة صوت واحد فقط هو كل ما تسمعه، أحزمة نارية، قذائف جوية، مدافع أرضية، قنابل بحرية، وغارات طائرات تخترق حاجز الصوت...

نظرت لطفلها يعمه السكون وعيناه مصوبتان نحوها، ماله غادره البكاء؟ الحركة حولها بأكملها بطيئة، لا تستطيع أن ترى سوى طفلها الصامت، توقفوا للحظات اجتمعت العائلة ثم أكمل الأهالي المسير لا يبغونها

عودة، فالمنازل اقتلعت والساكنين هجروا بلا مأوى، توجهوا نحو المشفى، وتوجهت الفتاة مع عائلتها نحو منزل أحد أقاربهم، باعتباره أحد الأسقف الآمنة، لكن الطبع يغلب التطبع، أنت تنزح تحت نيران عدو طبع على الغدر منذ أيام السلف، قصف المنزل، وأصيبت إحدى السيدات، فهرع زوج الفتاة لإسعافها، أخذها نحو مركز طبي في منطقة بعيدة تصنف من المناطق الحمراء في الخطر، بكت الفتاة زوجها وظنته لن يعود، ولكن لحسن القدر عاد رفقة السيدة وتم علاجها، فأصبح المنزل لا يصلح للسكن، غادروا قافلين نحو منزلهم، تنفسوا الصعداء واحتضنوا جدران المنزل، الذي لم يكونوا يعلمون أنه كان العناق الأخير بالفعل، واستبشرت العيون برؤية الجيران حولهم، لكن شيئا على حاله لا يدوم، التقطت آذانهم أصوات الدبابات تأكل الطريق في الخارج والجنود حولها يصولون ويجولون، اجتاحوا كل المنازل، انتقل الصوت لمكان أقرب أصبحوا يستمعون إليهم وهم في الطابق السفلي من منزلهم، وتراهم نفرًا نفرًا يتقصد العرق البارد منهم، بوجوه مصفرة وفكوك متدلية وعينين متسعتين استقبلوا الجنود على باب المنزل الداخلي، أراد أحدهم أن يتسلى فأطلق كلبه المسعور، لكن زوجها كان أحذر من أن يدعه يمس زوجته وطفله، كان الرضيع نائم، والفتاة تشاهد زوجها يصارع الكلب، وبكل ما بحنجرتها من قوة صرخت:

- يااااا الله!!!

فزع الطفل وبكى إلى أن تقطعت أحباله الصوتية، احتضنته والدته، أخذوا الزوج ووالده إلى اللامكان، أتلفوا أعصاب السيدات واخرجوهن بلا أحذية، بلا شيء من المنزل، سارت الفتاة رفقة والدة زوجها والدموع لا تغادرهما، الحصى تخترق أقدامها ويداها تعتصر طفلها، وعقلها أُخذ بالفعل رفقة زوجها وصوتها يملأ الفضاء نشيجًا، حملت حقيبة أمتعة الطفل أوقفوا عربة تجرها دابة، ومضت مرة أخرى نازحة، و خلال وقت لم تحتسبه، أمسى بيتهم ركاما، حانت منها التفاتة بسيطة للخلف، فأخذ ركام المنزل يصغر شيئا فشيئا، وأخذت الفتاة تبتعد شيئا فشيئا.

غادرت منزلها.....زوجها.....ذكرياتها.....حياتها.....صور زفافها....

مستقبل طفلها كان قد غادر قبل كل ذلك، توجهوا نحو المشفى، واستغرق الطريق اليوم بطوله، بلا طعام، ولكن كمعجزة ربانية لا زال الحليب يتدفق، حملوا أمتعتهم ولفظهم المشفى فليس به مكان يسعهم، إلى أحد الأراضي، افترشوا غرفة ما، بَدَت كأنها إسطبل، والسماء تبكي رفقة السيدات الثكالى، والسقف لا يحمي من المطر شيئًا، احتضنت الفتاة طفلها كي لا يبتل وتلقت البرد كله، فلا ملابسهم تحميهم ولا سقف يعلوهم، لا يعلمون كيف قضوا تلك الليلة في هذا المكان، خرجوا في الصباح الباكر ورائحة الرمال الرطبة تداعب أنوفهم، لكن سرعان ما تحولت الرائحة للدماء، يبدو أن الدماء استطاعت ري الأرض أكثر من المطر، تحت زخات القذائف والرصاص

توجهوا لمكان آخر، غرفة صغيرة لكن سقفها أفضل من السابقة، وبلا مرحاض، وتذكروا الطعام أخيرا، صحن صغير من الأرز المسلوق هذه الحصة اليومية من الطعام، لا غاز للطهي ولا فراش للنوم لا منزل للعيش، ولا عائلة للحب، كانت عائلتها قد غادرتها منذ زمن، ابتعدت المحافظات وفصلت الطرق، باتت بلا عائلة، بلا زوج.

الحياة غادرت مآقيها منذ زمن، وطفلها أثقل كاهلها بالفعل، إنها تنتظر حتى هذه اللحظة كي تستيقظ، لم تكن تصدق ما كان قد جرى في هذه الأيام القليلة، لازمت القرآن لا أنيس لها سواه.

ساءت الأوضاع ثانية، شدوا الرحال نحو نزوح آخر، عادت إلى المنزل الذي كان مأهولًا يوما ما بعائلتها الصغيرة وأعمامها وأبنائهم، إنه منزل والدها، بخطوات وئيدة صعدت الدرج وقفل الباب كان مفتوحا بالفعل، لكن يبدو أن هذا المنزل كان في ودائع الله فلم يسرق منه شيئا، دلفت إلى الداخل وبدأت أصوات الذكريات تتدفق إلى رأسها، هنا تشاجرت مع شقيقها، وهنا تبادلت النكات مع زوجها، وفي الشرفة ساعدت والدتها بتحضير الطعام، هنا احتفلت بعودة أبيها للمنزل، وكصاحب ملازم للذكريات انهمرت الدموع بفعل هذا الغزو العنيف، بحثت عن طفلها واحتضنته؛ إنه عائلتها المتبقية وهي عائلته الوحيدة..."

بقلم: شيماء - شمال غَزَّةَ الصامد بإذن الله

كَلِيمُ المَهدِ

عن رسول الله ﷺ: "كَانَ مَلِكٌ فِيمَن كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ له سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قالَ لِلْمَلِكِ: إنِّي قدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكانَ في طَرِيقِهِ إذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فأعْجَبَهُ، فَكانَ إذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذلكَ إلى الرَّاهِبِ، فَقالَ: إذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وإذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ[3]، فَبيْنَما هو كَذلكَ إذْ أَتَى علَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقالَ: اليومَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فأخَذَ حَجَرًا، فَقالَ: اللَّهُمَّ إنْ كانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إلَيْكَ مِن أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هذِه الدَّابَّةَ حتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فأتَى الرَّاهِبَ فأخْبَرَهُ، فَقالَ له الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ اليومَ أَفْضَلُ

---

[3] لعلَّ الرَّاهبَ أمَرَه بذلك -مع أنَّه كذِبٌ- لأنَّه رأى أنَّ المصلحةَ في هذا تَرْبو على مَفسَدةِ الكذبِ.
ويَحتمِلُ أنْ يكونَ ذلك تَوريةً لا كذِبًا؛ والتَّوريةُ في قولِه: «حَبَسَني أهْلي» أبيَنُ وأوضَحُ؛ لأنَّ الأهلَ حَقيقةً إنَّما هُم المرشِدون له إلى السَّعادةِ، فالمقصودُ بلَفظِ الأهلِ الراهبُ، وكذلك قولُه لأهلِه: «حبَسَني السَّاحرُ» يُمكِنُ تَأويلُه على التَّوريةِ بأنَّه لا يَصِلُ إلى أهلِه إلَّا بعْدَ المُكثِ عندَ السَّاحرِ والرَّاهبِ جميعًا، فيَصدُقُ قولُه: «حَبَسَني السَّاحرُ»؛ لأنَّه كان أحدَ الحابسينِ. [الدُّرر السَّنيَّة]

مِنِّي، قدْ بَلَغَ مِن أَمْرِكَ ما أَرَى، وإنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإنِ ابْتُلِيتَ فلا تَدُلَّ عَلَيَّ. وَكانَ الغُلَامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِن سَائِرِ الأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كانَ قدْ عَمِيَ، فأتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقالَ: ما هَاهُنَا لكَ أَجْمَعُ، إنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقالَ: إنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فإنْ أَنْتَ آمَنْتَ باللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فآمَنَ باللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فأتَى المَلِكَ فَجَلَسَ إلَيْهِ كما كانَ يَجْلِسُ، فَقالَ له المَلِكُ: مَن رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قالَ: رَبِّي، قالَ: وَلَكَ رَبٌّ غيرِي؟ قالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فأخَذَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حتَّى دَلَّ علَى الغُلَامِ، فَجِيءَ بالغُلَامِ، فَقالَ له المَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ، قدْ بَلَغَ مِن سِحْرِكَ ما تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ! فَقالَ: إنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا، إنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فأخَذَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حتَّى دَلَّ علَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بالرَّاهِبِ، فقِيلَ له: ارْجِعْ عن دِينِكَ، فأبَى، فَدَعَا بالمِئْشَارِ[4]، فَوَضَعَ المِئْشَارَ في مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ. ثُمَّ جِيءَ بجَلِيسِ المَلِكِ فقِيلَ له: ارْجِعْ عن دِينِكَ، فأبَى، فَوَضَعَ المِئْشَارَ في مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ به

[4] المنشار.

حتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بالغُلَامِ فقِيلَ له: ارْجِعْ عن دِينِكَ، فأبَى، فَدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَقالَ: اذْهَبُوا به إلى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا به الجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فإنْ رَجَعَ عن دِينِهِ، وإلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا به فَصَعِدُوا به الجَبَلَ، فَقالَ: **اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بما شِئْتَ**، فَرَجَفَ بهِمِ الجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجاءَ يَمْشِي إلى المَلِكِ، فَقالَ له المَلِكُ: ما فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَقالَ: اذْهَبُوا به فَاحْمِلُوهُ في قُرْقُورٍ[5]، فَتَوَسَّطُوا به البَحْرَ، فإنْ رَجَعَ عن دِينِهِ، وإلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا به، فَقالَ: **اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بما شِئْتَ**، فَانْكَفَأَتْ بهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجاءَ يَمْشِي إلى المَلِكِ، فَقالَ له المَلِكُ: ما فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَقالَ لِلْمَلِكِ: إنَّكَ لَسْتَ بقَاتِلِي حتَّى تَفْعَلَ ما آمُرُكَ به، قالَ: وَما هُوَ؟ قالَ: **تَجْمَعُ النَّاسَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ**، وَتَصْلُبُنِي علَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِن كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ في كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: باسْمِ اللهِ رَبِّ الغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي؛ فإنَّكَ إذَا فَعَلْتَ ذلكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ علَى

---

[5] السفينة العظيمة.

جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِن كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ القَوْسِ، ثُمَّ قالَ: باسْمِ اللهِ، رَبِّ الغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ[6]، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ[7] فَمَاتَ، فَقالَ النَّاسُ: **آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ.** فَأُتِيَ المَلِكُ فقِيلَ له: أَرَأَيْتَ ما كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بكَ حَذَرُكَ، قدْ آمَنَ النَّاسُ، فأمَرَ بالأُخْدُودِ في أَفْوَاهِ السِّكَكِ[8]، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقالَ: مَن لَمْ يَرْجِعْ عن دِينِهِ فأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قيلَ له: اقْتَحِمْ[9]، فَفَعَلُوا حتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ ومَعهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقالَ لَهَا الغُلَامُ: **يا أُمَّهْ، اصْبِرِي؛ فإنَّكِ علَى الحَقِّ.**"

[صحيح]

---

[6] في رأسه بين العين والأُذُن.

[7] مُتَأَلِّمًا.

[8] وهي مَداخلُ الطُّرُقِ وأوائلُها، وإنَّما شَقَّ الأُخدودَ على مَداخلِ الطُّرقِ؛ لئلَّا يَتمكَّنَ النَّاسُ مِن الهروبِ.

[9] ارمِ نفسك في النار.

تستوقفني عبارة " وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى المَلِكِ"، لِمَ عاد؟ أعلم أن إيمانه كان أقوى من أن يخافَ الملكَ وبطشَه، ولكنه كان قادرًا على التولّي عن تلك القرية الظالمة إلى غيرها! فلِمَ تعمَّد أن يُتعِبَ نفسه؟

عندها تأمّلت في الهجرة رسول الله ﷺ، لم يُهاجر إلى الحبشة وما هاجر إليها إلا المُستضعفون من المُسلمين، حتى أولئك المُستضعفون تجهَّزوا قبل هجرتهم تجهيزًا إيمانيًا، فقد أُنْزلت على رسول الله ﷺ سورة مريم قبل هجرتهم، لتكون درعًا لهم أمام أصحاب الصليب.

والهجرة الثانية كانت استراتيجية، ولم تكن مُحاولةً للتَّنصُّلِ من أعباء الدعوة، بدليل عودته ﷺ إلى مكة بعد ثمانِ سنوات.

وكِلتا الهجرتين ما كانتا إلا امتثالًا لأمر الله، قال ﷻ: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ۝"، هذا لسان حال رسولنا الكريم ﷺ، والغُلام.

أرأيتم أننا لم نعرف أحدًا من أولئك الذين حُرِقوا في الأخدود؟ ولم نعرف اسم الغلام، فذلك عندما يكون المرءُ مجهولًا في الأرض معروفًا في السماء، ذلك الغلام قدَّم عُمُره وروحه فداءً ليؤمِنَ الناسُ بربِّهم، فليس يُقتل المسلمُ لِحبِّه الموتَ، إنما لإيثاره حياة الناس في جنَّاتِ النَّعيم على حياته في الدُّنيا.

"يا أُمَّهْ!" تلك المرأة نطق ابنُها لمَّا قُطِعت عنها أسباب التَّثبيتِ؛ فأنطقَ الله الرضيعَ يُخاطبُها بِمُعجِزة، أمَّا أنت فالقرآن بين يديك هو المُعجِزَة!

أكان يظنُّ أحدُ أصحابِ الأخدودِ أنْ يُخَلَّدَ ذِكرُهُم في القرآن الكريم؟ ظاهر الأمر أنَّهُم انقَطَعَ نَسلُهُم ومُحي ذِكرهم، ولكنَّ الذي مُحِيَ هُو الذي حَاول محيَهُم!

لا يَدخُلَنَّ قلبك ذرة ريب في سُنَنِ الله، وانظُر إلى رَضِيعٍ بَينَ يَدَيكَ يَنطِق، فالله وعد المؤمنين بالصبر والثَّبات...

اقرأ الآيات قراءة المُستفهم، ولستُ أُقسِم أنك ستجد ضالَّتك...

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴿1﴾ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ﴿2﴾ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴿3﴾ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿4﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴿5﴾ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ﴿6﴾ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴿7﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿8﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿9﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿10﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿11﴾ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿12﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿13﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿14﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿15﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿16﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿17﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿18﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿19﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿20﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿21﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿22﴾

القول الفصل

كنت أُفَكِّرُ فِي تَأمِينِ دَخْلٍ لِأمي وأسماءَ وأرسلانَ مِن بعدي، سَدَّدتُ كُلَّ دُيُونِي والحمد لله، وما بَقِيَ عَلَيَّ شيء من حقوق العباد، دَرَستُ مَا تَيَسَّرَ مِنَ العلم الشرعي ولَم أَنتَهِ ولن أنتهِ، فالعلم الشرعي حِمْيَةٌ للروح، والحِمْيَةُ الناجحة لا تتوقف إلا عند اللَّاهِي، الذي يَتَّخِذُ من الصِّحَة لَهوًا ولعبًا، غَيرَ أنَّ اللَّهو بالصِّحَةِ الجَسَدِيَّةِ لَيسَت بِشَيءٍ مُقَابِلَ اللَّهو بالصِّحَةِ الرُّوحِيَّة، فالأَوَّلُ يُفني فانٍ، والثاني يُفني الخلود...

محاولاتي لتعلُّمِ الاختِرَاق الإلكتروني باءت بالفشل، ليس لدي قدرةٌ على فهم هذه التفاصيل، وليتني أستطيع، لذلك اتخذت قراري، أنا وثُلَّةٌ مِنْ أَهلِ الفَجْرِ من الشباب الذين أحسبهم قد أَزهَرَ الإيمان شيئًا في قلوبهم، بِعَقلٍ مُدَبِّرٍ وتَدرِيبٍ مُكَثَّف وسِرِّيَّة تَامَّة، ومساعدة أبناء العشائر الأُردُنِيَّة النَّشْمِيَّة، وبِدَعمٍ مُبَاشِرٍ مِن بَعضِ شُيُوخِهَا الأفَاضِل ذَوِي الغيرَةِ على الدِّينِ والمُقَدَّسَاتِ الإسلَامِيَّة، وسَيرًا على خُطَى الشَّهِيدِ بإذنِ الله **ماهر الجازي** -رحمه الله-، وتتبُّعًا لِرِيحِ المِسْكِ الذي خَالَطَ تُربَةَ قَبْرِه، امتشَقنَا الحُسَامَ، وأَنهَيْنَا الكَلَامَ، واقتربنا من الحدود بمساعدةِ بَعضِ جُنُودِ الجَيشِ العربي البَواسِل، الذين كانوا يحترقون بِصَمتِهِم مُنذُ بِدَايَةِ الحرب.

حَدَّدنَا الهدف، وَرَصَدْنَا العَدُوّ، فَخَّخْنَا إحدَى الشَّاحِنَاتِ المُحَمَّلَةِ بالخضراوات إلى الكَيَان، إلا أنَّ التفخِيخَ فَشِل، ولَكِنَّ السُّمَّ نَجَحَ، وهو ما اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ مَعَ المُزَارِعِين، بِخُطَّةٍ مُحكَمَةٍ، تَحفَظُ شَعبَنَا، وتُهلِكُ نِدَّنَا.

رابطنا هناك، في مواقع سرّيَّة، لن يعرفها العدو ولو استعان بمردة الشياطين علينا، جلسنا في مواقعنا مدةً نراقب ونرصد، ولا أملك صلاحية الإفصاح عن طول المُدَّة تِلك...

سيبدأ الطوفان من خاصرة الاحتلال، وسيُضرَبُ ضَربَةً ما كان يحسب لها حسابًا، أَيَظُنُّ الاحتلال أنَّ أنظِمَةَ الاستِعبَادِ التي فَرَضَهَا علينا، والإفقار المُمَنهَج، والدُّيُونِ القَسرِيَّةِ التي أَثقَلَ كَاهِلَ حُكُومَتِنَا بِها سَتُغنِي عَنهُ شَيئًا أَمَامَ رَجُلٍ تَاقَ لِيُرِيَ الله مِنه مَا يُرضِيهِ عَنْه؟

إن الفؤاد إذا امتلأ بمحبوبه، فالدنيا ستكون في ناظريه أصغر من فُتَاتِ رَمَادٍ ذَرَتْهُ الرِّيَاحُ حَيثُ لَا يُرَى...

كُنتُ القَنَّاصَ في خَلِيَّتِنَا، كُنتُ أُحِبُّ مَوقِعِي، فأنا الأفضَلُ في التَّركِيزِ وتَحدِيدِ الهَدَفِ، وإخوَانِيَ المُجَاهِدُونَ كانوا أفضل مني في المواقع الأخرى، تَوَاضُعُنَا لله ﷻ لن يَجعَلَ لِلنِّزَاعِ والفُرقَةِ بَينَنَا مَرتَعًا، فَلَا يَظُنَّنَّ أهل الطُّغيَانِ بِأَنَّ رِيحَنَا ذَاهِبَة.

فوالذي رفع السماء بِلا عَمَد، مَا تَشَوَّقتُ إلى شَيءٍ تَشَوُّقِي لِإطلَاقِ النَّارِ مِن السِّلَاح، وما دَاعَبَ أَصَابِعِي شَيءٌ كَمُدَاعَبَةِ الزِّنَادِ لَهَا، ولا مَتَّعتُ نَاظِرَيَّ بأجملَ مِن رَأسِ جُندِيٍّ حَرَمني وجُودُه مِن الصلاة فِي الأَقصَى، ناهيك عن حَتمِيَّةِ قَتْلِهِ لِإخْوَانِيَ المُسلِمِين وانتهاكِ حُرُمَاتِهِم.

إنَّه اليوم الفصل، والقولُ الفصل، والفعلُ الفصل، واللسان لا يلهج إلا بالذِّكر، ليس بما عندي مِن قُوَّةٍ، بل الله يُثَبِّتُ المُؤمِنِينَ، عسى الله أن يرضى عنا، الآنَ فَهِمتُ إصرَارَ أحمد -رحمه الله- على رجوعي إلى الأردن...

اللهم إني أستودعك أمي وإخوتي وزوجة أبي، وأستودعك زوجتي أسماء وثمرة فؤادي أرسلان، وأستودعك اللهم دينَهم وعقيدَتَهم وإيمانَهم، اللهم إنك استأمنتَنِي عليهم فأوفيت العهد ما استطعت، فَتَقَبَّلْنِي، واحمِهِم، واجمعني بِهم يوم يَفِرُّ المَرءُ مِن أَخِيه، ارحم أبي كما رَحمني صغيرًا، وأَكرِم أخي كما أكرمني في حياتي، بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله....

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ

..... الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر ولله الحمد، في نص راسه يا زلمة!!!

رسالَتي إلى قُدسنا:

إنـــــــــي أحبك والمنفى يؤرقني ... أنت الحياة وأنت كـــل أوطاني

إني ذكرتك والمـــــسرى معطلة ... حُرَّ الفؤاد وشُلَّت كـــل أركاني

إن الحبيـــــب إذا اشتدت مسالكه ... أفضـــت دموع العيـــن للحنَّان

فمتى يعود السعد بي يا صاحبـــي ... ومتـــى أشم رواحها الريحـــانِ

وإلى متى أبكي وما من مذنـــب ... إلا بخيل جـــاد بالأحـــزان

فهل رَوَت الدموع عطشى من ظما ... أو واست الأحزان طول زمانٍ؟؟

أم هل يُزيد الهم يومًا رزقـــــة ... أو يجلـــب الأحزان للأحزانِ

أفهل أعيش حياةً لا لِقَـــا فيهـــا ... وإن حـــان اللقاء ضاق عناني

إن الفراق لحزن ساد بهجتنـــا ... وأيُّ ســـعادة في بين أوطاني

إني ضحية نار أضرمت غيـــظًا ... واليـــوم فـــي أسر بلا جدران

رنيم صوالحة [22 مُحرَّم 1446هـ]

المُحتويات

تنبيه! 1

إهداء 2

شكر.. 3

سيف القدس 4

الربيع الأول 59

أن تذبحوا بقرة..... 69

الشاعر محمد صالح -رحمه الله-..... 75

تمكين 76

ربيع ثاني 78

المستشفى المعمداني 80

كان يصلي! 82

أخٌ منسيٌ... 83

خباب بن الأرت 84

جمادى 90

لستُ رقمًا! 93

أحلام طفولتي 95

العُمر الافتراضي..... 98

Happy new year..... 100

رجب 104

المقاتل الأنيق 107
شعبان 108
رمضان 115
صَفوة الحُفاظ 128
الشهيد بإذن الله جهاد قزاعر -رحمه الله- 130
شوال 132
ذي القعدة 133
عطشان؟ 139
ذي الحجة 141
شاهدة عيان 1 143
فرعون في رفح 152
مُحَرَّم 154
صفر 161
العجوز الشمطاء 163
ربيع أول 165
شِعاب مكة 172
شاهد عيان 2 175
كَلِيمُ المَهدِ 179
القول الفصل 186

كانوا يتحدثون في أمور كثيرة، وأنا في عالمي بعيداً عنهم تماما، أفكر في الحياة الدنيا، ومعجزة الموت، وغرابة الحياة، واختلاف نواحيها، تفكر أنغمس فيه كلما مات أحد أعرفه شخصياً، تُرى كيف يعيش أول أيامه هناك؟ ومتى سألحق به، وكيف سأموت أنا؟ ما آخر آية قرأها في نفسه قبل موته؟ وما آخر رجاء غلف فيه دعاءه الأخير ، لو كان أحد ختم حياته بدعاء لأجل دنيا، هل سيكون على ما طلب نادما ؟ أم أن الله سيلهم عباده دعاء الآخرة في هذا الموقف؟

هل كانت مناجاته الأخيرة تشبه مناجاة آسيا زوجة فرعون؟ ترى ما آخر سر حدث الله به؟ كيف كانت آخر صلاة صلاها؟ هل شعر بقرب أجله؟ ماذا كان يُخطط لغده؟ ما آخر عمل عمله؟ وما آخر ذكر رطب لسانه به؟ والآن كيف حاله هناك؟ هناك حيث لا يعرف أحد من الأحياء شيئًا عن هناك، إلا ما أخبرنا به الله ورسوله، من المؤكد أنه قابل أصحابه، لابد أنه سعيد مع أبنائه وأحفاده، الحمد لله، ارتاح الكاهل مما كان يحمل من هم الدنيا.

نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، فعلى ما يخلفه الموت من ألم في نفوس الأحياء، إلا أنه هزة عنيفة، توقظ ما رقد في النفس من أمر الدنيا، فلسنا كلنا كأبي عبيدة عامر بن الجراح إذ قال لصاحبه: "هي أيام ونمضي..."